390

HARLEQUIN

روايات أحلام

حلم ضاع من يدي

مارغريت واي

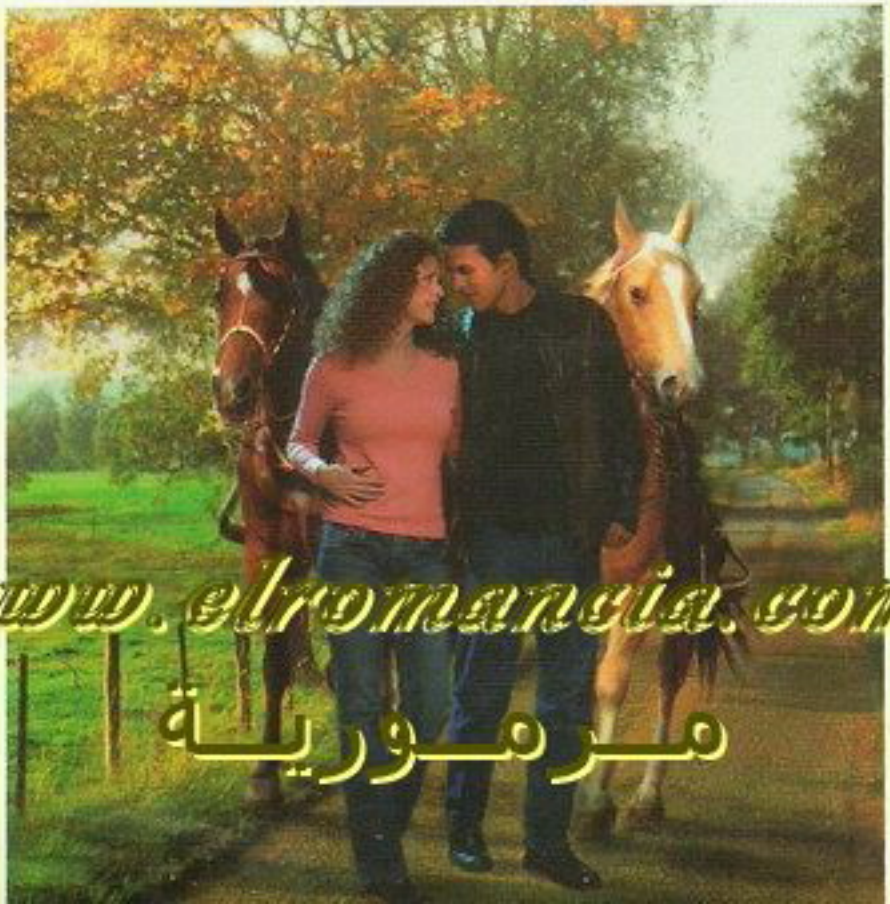

www.elromancia.com
مرمورية

حلم ضاع من يدي

ها قد عادت المرأة التى أحبها في الماضي ... ثم فقدها .
أوليفيا لينفيلد هي الوريثة الجميلة لمزرعة هافيلا .
وجايسون كوري شاب وسيم من أسرة إيطالية . كان من المفترض أن يتم زفافهما الكبير إلا أن ذلك لم يحدث بسبب الخيانة !
بعد سبع سنوات تعود أوليفيا إلى أملاك كوينز لاند التى ورثتها فتتفاجأ عندما تكتشف أن جايسون يعمل مديراً لأملاك هافيلا وابنته الصغيرة تتجول في البيت !
هل تطردهما أوليفيا معاً ؟ أم أن جايسون سيتمكن من إقناع المرأة التى فقدها أنه كان وما يزال يريدها !

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-358-2

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
His heiress Wife
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
©Margaret Way 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2007
ISBN 9953 - 15 - 358 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

www.elromancia.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequinالعالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequinهي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

مارغريت واي

إنها أسطورة في عالم الروايات العاطفية وقرّائها. تنشر لها روايات منذ ٣٠ سنة. عرفت بشخصياتها الشغوفة القوية ووصفها الوجداني المعبّر لطبيعة أستراليا.

ولدت مارغريت وترعرعت في مدينة بريسبين القائمة على ضفاف نهر، وهي تقيم الآن على مقربة من مدينة «موريشون بي» في مقاطعة «كويزلند». تعشق هذه الكاتبة وصف بلادها وصفاً حيّاً للقرّاء.

قبل أن تنصرف للكتابة كانت مارغريت تحترف العزف على آلة البيانو وتعطي دروساً في العزف والغناء وترافق كبار المؤلفين والمغنّين. وهي تعزف حتى الآن بشكل جدّي. إلى ذلك فهي تهوى جمع التحف والأعمال الفنية والعناية بحديقتها.

١ ـ رسالة وذكريات

عادت أوليفيا إلى شقتها الأنيقة، الواقعة في وسط المدينة بعد ظهر يوم حار من شهر كانون الأول، وذلك قبل أن تقفل المدرسة أبوابها لمناسبة فرصة الميلاد. لاحظت وميض الضوء الأحمر للمجيب الآلي، فضغطت الزر واستندت إلى طاولة المطبخ، لتستمع إلى الرسائل. بانتظار ذلك، خلعت حذاءها وهي تمنّي نفسها بالسباحة في حوض السباحة الخاص بالمجمع السكني الذي تقطنه، علّها تشعر بالارتياح والهدوء.

حملت رسائلها البريدية وراحت تتفحصها بسرعة. إنها تنتظر فرصة الصيف الطويلة بفارغ الصبر، فهذا العام كان مرهقاً تماماً بالنسبة إليها. الفتيات المراهقات لسن أشخاصاً يسهل التعامل معهن، لا سيّما أولئك اللواتي يتورّطن في علاقات عاطفية.

شغلت أوليفيا وظيفتها المرموقة في مدرسة أورمستون للغات، وهي مدرسة مخصصة للبنات، منذ ثلاث سنوات. ناسبتها هذه الوظيفة كأنها وجدت خصيصاً من أجلها. فهي تحصل على أجر مرتفع بالإضافة إلى تقديمات مالية خاصة.

وجدت بين الرسائل بطاقة بريدية من صديق لها اعتاد أن يسافر إلى أماكن غريبة من العالم، وهو حالياً في البيرو والصورة على البطاقة تُظهر آثار ماشو بيكشو. كما وجدت عدداً من الدعوات لحضور نشاطات وحفلات ميلادية، بالإضافة إلى فاتورة الهاتف.

الرسالة الصوتية الأولى كانت من مات إدواردز، الذي بدأت تقابله منذ مدة. أراد مات أن يعرف إذا ما كانت ترغب بقضاء عطلة أسبوع

www.elromancia.com
www.darelfarasha.com

رومنسية في المنتجع الساحلي الرائع، فكرت بالأمر قليلاً . .

مات رجل جذّاب ويتمتع بروح دعابة لطيفة أحبتها أوليڤيا . وقد بدأ اسمه يلمع كمحام بارع في قضايا عديدة . بذل مات الكثير من الجهد للفوز بأوليڤيا وإقناعها بالزواج منه، إلاّ أنه لم ينجح بذلك لسوء الحظ، لأنها متأكدة من أنها لن تقع في حبه على الإطلاق .

لقد عرفت أوليڤيا كل ما ترغب بمعرفته عن الحب يوماً . إنه ذلك الإحساس الذي يغمرك بالبهجة أو يدمّرك . إنه الجنة أو الجحيم، وليس هناك حل وسط . أمّا الانجذاب بين الطرفين فيغدو أمراً تافهاً بعد حين . عليها أن تخبر مات يوماً ما أنه يضيع وقته الثمين، إذ إنها لا تستطيع الارتباط به . ربما يعود ذلك إلى أنها كانت على وشك الزواج ذات مرة . أحياناً، عندما تكون متعبة أو محبطة وتعود بها الذكريات إلى الوراء رغماً عن إرادتها، تزداد قناعة بأن عليها البقاء وحيدة دوماً، دون ارتباط . في الماضي، قطّعت ثوب زفافها وطرحتها بالمقص، وبعد أسبوع قصّت شعرها الطويل أيضاً، بعد أن قررت ألا تسمح لأي رجل بأن يمرر أصابعه بين خصلاته ثانية .

الرسالة الثانية كانت من والدة تلميذة مشاغبة في صف الرياضيات، جعلت مسألة الهروب من الصف فناً تمارسه بإتقان . ولم تقدر أوليڤيا على تحمل ذلك الأمر . في تلك الرسالة، شكرتها الوالدة الممتنّة على تحقيق أروع النتائج مع ابنتها شارلوت .

أمّا الرسالة الأخيرة فقد صعقتها تماماً! وقعت فتاحة الرسائل من يدها التي ارتخت فجأة، وسقطت على الأرض . اقتربت أوليڤيا من الجهيب الآلي وقلبها يكاد يهوي بين قدميها، ترقباً للأنباء السيئة التي توقعت، بصورة غريزية، أن تسمعها .

كان الصوت مألوفاً جداً، لكنه فقد نغمته الحنونة الطيبة التي اعتادت عليها . إنه صوت غرايس غوردون، مدبرة منزل هاري، وقد بدت منزعجة تماماً .

انطلقت الكلمات بطريقة سريعة متلعثمة، بحيث وجدت أوليڤيا صعوبة بالغة في فهم ما تقوله غرايس بالضبط .

- ليف، هذه أنا . . . أنا غرايسي يا حبي .

اقتحم الصوت أجواء المطبخ الصغير بقوة، مسبباً الارتجاج في أنحائه .

- ليف، يجب أن تأتي إلى المنزل .

أغمضت أوليڤيا عينيها بقوة؛ ماذا جرى؟ وأدركت فوراً أنه هاري . . . مع أنه يتمتع بصحة جيدة، إلاّ أنه في السبعين من عمره . . .

- حصل شيء رهيب .

وعاد الصوت يرن عبر الآلة : «لم أستطع التحدث معك عندما كنت في المدرسة . أخبرتني امرأة رهيبة فظة أنك كنتِ في اجتماع مع المدير، ولا يمكنها مقاطعتك . أكره أن أنقل إليك أخباراً سيئة حبي» .

سكت الصوت بينما جاهدت غرايس للتغلب على غصات البكاء .

- إنه عمك هاري .

راحت غرايس تنتحب مؤكدة أسوأ مخاوف أوليڤيا، قبل أن تتابع قائلة : «لقد تعرض لنوبة قلبية حادّة . . . وتوفي . مات عند الساعة الثالثة من بعد ظهر هذا اليوم، بينما كنت أحضر له كوباً من الشاي . كانت صدمة رهيبة . . . حصل الأمر فجأة . . . فقد كان يبدو بصحة جيدة . جايسون شخص رائع . إنه برج من القوة» .

جايسون؟ لبرهة من الزمن، أحسّت أوليڤيا بطعنة حادة . عن أي جايسون تتحدث؟ وهل هناك سواه؟ أرسل الاسم صدمة عنيفة أخرى في كيانها . تراجعت أوليڤيا واستندت إلى الطاولة المكسوة بالغرانيت، واضعة يدها فوق قلبها الذي راح يدوي بعنف . ماذا يفعل جايسون في هاڤيلا؟ ليس من حقه الذهاب إلى هناك ثانية!!

- تعالي إلى المنزل، حبيبتي .

ناشدتها غرايس، وهي غير قادرة على السيطرة على نشيجها، ثم أكملت قائلة : «جايسون يفهم أنك تريدين إجراء الترتيبات . أرجوك حبي . .

www.elromancia.com
http://www.qareatarasha.com

اتصلي بي سريعاً. آسفة إذا بدوت غير واضحة، لكني أشعر بالكثير من الانزعاج».

وماذا عني؟ توجهت أوليڤيا، إلى غرفة الجلوس، تاركة رسائلها البريدية تقع على أرض المطبخ دون مبالاة، وارتمت على إحدى الكراسي وهي تشعر باليأس الشديد. لقد مات هاري! وجايسون هو برج من القوة.. ! لا شك أن شيئاً غريباً يجري. لماذا كان جايسون في هاڤيلا؟ وكيف؟ ألم يكن يدير مزرعة للماشية، حيث يقطن مع زوجته وطفلته؟ من الواضح أنه عاد. لكن لماذا؟ والأهم من ذلك، لماذا لم يخبرها هاري بذلك؟

أجابها صوت في داخلها قائلاً إن السبب هو معرفته أن الحديث عن جايسون يزعجها. لقد سبب لها جايسون كوري ألماً عظيماً. فقبل سنوات، عندما كانت في العشرين من عمرها، ظنت أن حياتها فقدت معناها عندما نبذها خطيبها جايسون، عشية زفافهما. الآن، وبعد أن أصبحت في السابعة والعشرين من عمرها، ظنت أنها تخلّصت من الشعور بالألم والاذلال، لكن مجرد سماع اسمه أعادها سنوات إلى الوراء، فانساب الحزن والمرارة دموعاً مالحة على خدّيها.

«جايسون هو برج من القوة».

قالت غرايس ذلك بطريقة جعلت أوليڤيا توقن أنها تتحدث عن خطيبها جايسون، فهي تعلم أن غرايس تكن له مشاعر لطيفة.

خطيبها جايسون! شعرت باحتقار شديد لنفسها لأنها تفكر به بهذه الطريقة، على الرغم من شعورها بضغط نفسي شديد.

جايسون لم يكن لها يوماً. حتى في ذلك الوقت الذي أفصح لها عن حبه بشغف، كان يخونها مع فتاة أخرى ما جعلها تحمل منه. لقد وثقت أوليڤيا بجايسون، لذا لم تستطع أن تسامحه على الإطلاق، كما لم تستطع مسامحة ميغان دافي التي كانت صديقة طفولتها، والتي كان يفترض بها أن تكون إحدى إشبيناتها الأربع.

أصبح إسمها اليوم ميغان كوري، بعد أن صارت زوجة جايسون

ووالدة طفلته. ويحتمل أن يكون لديهما أولاد آخرون أيضاً، من يدري؟ لم يجرؤ أي شخص على نقل أخبار جايسون إليها، لأن الجميع أدركوا أنها لا تريد أن تعرف عنه شيئاً. بالنسبة لها، ينتمي جايسون وميغان إلى الماضي الأليم. لم تستطع أن تصدق أن هاري يسمح لجايسون بالعودة إلى حياته، لأنها عندما كانت تقاسي الأمرّين، كان هاري يتألم أيضاً. في الواقع، إن العم هاري الرائع هو أحد أقرباء والدها، وقد رباها منذ أن توفي والداها في حادث قطار، وهي في العاشرة من عمرها. ظل هاري أعزب طيلة حياته، ولم يعلم أحد سبب ذلك حتى هاري نفسه.

ورث هاري منزل العائلة العريق و هو مزرعة هاڤيلا، التي تقع شمال كوينزلاند في المنطقة المدارية. كان آل لينفيلد رواداً في صناعة السكر عندما كان الشمال المداري يؤمن معظم الإنتاج الوطني. ولطالما افتخر آل لينفيلد بهذا الميراث.

عندما كتب والداها وصيتهما، سميا هاري كوصي عليها في حال إصابتهما بمكروه. كان والداها يوصفان بـ «ثنائي آل لينفيلد الساحر» لأنهما يتمتعان بالمال والجمال معاً. كانا فخورين بانتمائهما إلى تلك الأسرة العريقة، وخططا للعيش إلى أن يصبحا عجوزين. لكن القدر لم يمهلهما، إذ تدخل في ذلك الزواج الهانىء عندما أصبحا في الثلاثين من عمريهما.

لم تصدّق أوليڤيا أنها تحدثت مع هاري منذ أقل من أسبوع. فهي أحياناً تتصل به عدة مرات في الأسبوع، لا سيّما أنه بدأ يتقدم في السن. لكن مع اقتراب نشاطات العام الدراسي من نهايتها أصبحت مشغولة جداً. أحياناً، تشعر أنها بحاجة ماسة إلى رؤية هاڤيلا ثانية، لكنها تدرك أنها لا تستطيع ذلك. هناك العديد من الذكريات التي لا يمكنها أن تواجهها البتة، فهي لم تعد تستطيع تحمّل المزيد من الألم. كان من المقرر أن يقام حفل زفافها في مخزن هاڤيلا الكبير، الذي حوّله هاري إلى أروع قاعة للمأدبات مع صالة للرقص ذات أرضية طريّة من خشب الصنوبر. تم التخطيط لكافة التفاصيل

http://www.darelfarasha.com

إلى درجة الكمال، إذ لم يوفر هاري أية مصاريف. بدا الجميع سعداء، يسود حولهم جو من الفرح الغامر. وبدا لها أن ارتباطها بجايسون هو مثالي، ومبارك من الجميع.

غالباً ما فكرت أنها عاجزة عن تحمّل تلك السعادة كلها. لقد أحبّت جايسون حتى العبادة ولم تستطع الابتعاد عنه يوماً واحداً.. أحبته بجنون وهو أحبها أيضاً...

لكن ذلك لم يكن صحيحاً، فحب جايسون لها لم يكن صادقاً. والآن، هاري الحبيب الذي شاركها معاناتها وصدمتها كما شاركها تعافيها وانتصاراتها قد رحل عنها. تذكرت كم كان رائعاً معها، وكيف أشرك نفسه في كل شيء في حياتها. تلقّت أوليفيا تعليماً ممتازاً، وتخرجت من الجامعة مع شهادة في التعليم عندما كانت في العشرين من عمرها. أملت يومها أن تشغل منصباً في إحدى المدارس الثانوية في الولاية، لعدة سنوات. ثم تؤسس عائلة مع جايسون، وعندما يكبر أولادهما الذين كانا يتوقان لإنجابهم، تتابع عملها. لم تكن تلك سوى أحلام يقظة! لكن أنّى لها أن تتوقع شيئاً آخر؟ الجميع حولها كانوا مقتنعين أن جايسون يحبها حباً عميقاً، حباً مجنوناً وأبدياً.

كم بدا الأمر مروّعاً حين اكتشفت، في اليوم التالي، أن جايسون بدأ بتأسيس عائلة مع ميغان دافي. بالنسبة لفتاة هادئة، عملت ميغان بسرعة هائلة، مؤكدة المثل القائل بأن المياه الراكدة عميقة الغور. عمل والد ميغان وأخوها، وربما ما يزالان يعملان، في مصنع العم هاري. وعندما اضطُرت المصانع الأخرى إلى الإقفال، بقي مصنع لينفيلد مفتوحاً، وكان العم هاري يتعامل بلطف مع عائلات موظفيه. من الغرابة أن ترد ميغان الجميل على هذا النحو. شعر والدا ميغان بالصدمة والحزن عندما اكتشفا أن ابنتهما الوحيدة كانت حاملاً من جايسون كوري. في الواقع، جاء الخبر بمثابة صدمة للمقاطعة بأكملها، لأن جايسون كوري كان على وشك الزواج من أوليفيا لينفيلد. كان الجميع يعلمون أن أوليفيا وجايسون

مخطوبان منذ طفولتهما، وهما متحابان وكأن أحدهما خلق للآخر.

إنها ليست المرة الأولى التي تخيب فيها الآمال... قاست أوليفيا الأمرّين عندما جاء جايسون إليها في ذلك اليوم المشؤوم، وأبلغها بالخبر الصاعق الذي جعلها ترفض رؤيته ثانية. وسرعان ما انتقلت بعيداً عن هافيلا لمسافة تقارب الألف ميل، حيث انتسبت إلى الجامعة لمتابعة الدراسات العليا والحصول على شهادة الماجستير. لم تجد أمامها سوى الدرس والعمل الدؤوب وتسليم الفروض في الوقت المحدد لكي تنسى خيبتها. دفعت نفسها إلى أقصى الحدود في معركتها المستمرة لنسيانه، ووضعت هذا الهدف نصب عينيها.

لم تعد إلى المنزل مطلقاً بعد ذلك اليوم، بل كان العم هاري يأتي لزيارتها. في تلك المناسبات، كانت تسعى جهدها لجعله يمضي وقتاً ممتعاً. لم يتحدثا عن جايسون، طبعاً، لأن ذلك سيعكر مزاجهما معاً. لقد جعل جايسون حياتها حطاماً، وكرهته أوليفيا كرهاً عميقاً. كرهاً تردّد مع كل نفس تتنشقه. لكن في النهاية، كان عليها تقبل الأمر، والتسامي على جراحها، مما ساعدها على المواجهة. والآن، مع موت هاري، أدركت أن عليها التحلي بالشجاعة والعودة إلى المنزل.

غمرها شعور بالحنين إلى الماضي، فرأت هاري بعين الخيال وأحسّت بحبه يجتاح كيانها. بدأ أحد الشرايين ينبض في صدغها عندما اقتحمت مخيلتها صورة جايسون: شعره النحاسي الرائع، الذي يلتمع تحت أشعة الشمس فيبدو كقبعة حمراء... عيناه الزرقاوان العميقتان، وبشرته السمراء المدهشة التي تختلف عن بشرة ذوي الشعر الأحمر بلونها الذهبي. ورث جايسون لون بشرته المميّز هذا من جدته الإيطالية ريناتا، كما ورث عنها ضحكته وجرأته وحبه للأرض وموقفه من الطعام والفن. بالإضافة إلى قدرته على الحب بشغف. بالنسبة إليها، يمثل جايسون كوري المعنى الحقيقي لكلمة «حبيب»، وهنا تكمن المأساة. فهذا عقاب دائم لها مع أنها لم تقترف ذنباً، بل كانت الضحية.

www.darelarasha.com

وبينما كانت جالسة بهدوء، راح قلبها ينكمش من الحزن وهي تواجه حقيقة أنها و ريثة هاري. علمت أوليفيا ذلك منذ سنوات، إذ طالما ردّد هاري على مسامعها عبارة «أنتِ ابنة قلبي».

وانهمرت دموعها... لطالما قال لها ذلك، ولطالما أغدق عليها المديح وهي برفقته. الآن أصبحت هاڤيلا ملكها. أثقلت هذه الفكرة كاهليها فشعرت بحجم المسؤولية الملقاة عليها، وبأن تغيراً جذري سوف يصيب حياتها. إنها الوحيدة التي تحمل اسم العائلة. وعلى الرغم من وجود أقارب لها من أبناء وبنات عمّات، إلاّ أنها الوحيدة التي تحمل اسم لينفيلد.

هاڤيلا منزل الأجداد.. البيت الكبير الذي كان في ما مضى أكبر وأنجح مزرعة لإنتاج السكر في الشمال...

قبل خيانة جايسون لها واضطرارها إلى مغادرة المنزل راحت تهتم بمشاريع هاري التوسعية. لقد شجعها هاري، وكان فخوراً بحدة ذكائها، و قدرتها على التصرف بلباقة وتهذيب مع ضيوفه. وغالباً ما كان الزوار يتوافدون إلى هاڤيلا، وبعض هؤلاء ذوو أهمية كبيرة. تعلمت أوليفيا الكثير عن إدارة المزرعة والمصنع. كما اطلعت على كافة أعمال هاري وأسهمه في البن والشاي والقطن. لم يكن هاري من النوع المغامر في عمله بل هو رجل حذر بطبيعته، ويهتم بالتفاصيل. كان رجلاً غنياً، ولطالما اشترى لها أروع الهدايا، ودللها كثيراً. ففي عيد ميلادها السادس والعشرين أهداها أقراطاً رائعة من الياقوت والماس، وفي كل مرة تضعهما في أذنيها تشعر بأنها أميرة حقيقية.

أما جايسون فهو من النوع الذي يملك قدرة على المغامرة في الأعمال، ولطالما حاول إقناع هاري بالتوسع في مشاريعه. فهو نفسه كان مهتماً بأعمال المناجم واكتشاف المعادن، وحاول إقناعه بالمشاركة في منجم للذهب في كوينزلاند، لكن هاري تراجع في اللحظة الأخيرة. وبالطبع، لاقى المشروع نجاحاً ساحقاً، وما زالت أوليفيا تلاحظ ارتفاع أسعار أسهمه في صفحات البورصة المالية.

إلاّ أن حمل ميغان غيّر حياة الكثيرين. أجبرت أوليفيا على ترك هاڤيلا وإعادة بناء حياتها في بريزين. واضطر جايسون إلى تغيير مسار حياته فانتقل بعيداً، مثلها تقريباً. لم تفهم أوليفيا يوماً لماذا تولى منصب مدير في مزرعة للماشية في أوتباك، فهو لم يكن يعرف شيئاً عن الماشية. تخرّج جايسون من كلية إدارة الأعمال والتجارة، وكان الأول في دفعته. ربما أراد مثلها أن يبتعد قدر المستطاع ويحاول القيام بشيء مختلف تماماً... ربما كان ذلك هو الشيء الوحيد المتوفر بوجود زوجة وطفلة يعيلهما. لم تكن عائلة كوري تملك المال، إلاّ أن جايسون تمكن من متابعة دراسته بسبب تفوقه في الدراسة. ولطالما ساور أوليفيا الشك بأن يكون هاري قد ساعد جايسون في ذلك الوقت لأنه كان يحبه كثيراً...

صحيح أن جايسون أقام علاقة مع ميغان، ما جعلها حاملاً منه، لكن أوليفيا علمت أنها كانت ليلة واحدة كريهة. فقد أمضى الاثنان سهرة صاخبة مع مجموعة من الأصدقاء، وظلا ساهرين إلى أن أنهكهما النعاس. هذا ما أخبرها به جايسون، كما اعترف لها أنه لا يمكنه تذكر ما حصل بعد ذلك. ورغم ذلك، لم تستطع أوليفيا مسامحته. لكنه على الأقل فعل شيئاً محترماً، وإذ تزوج ميغان مع أنه لم يحبها قط. ومن سخرية القدر أن جايسون لم يكن يطيق ميغان يوماً، ولطالما اعتبر أن تصرفاتها غير واضحة، وتتسم بالغموض.

والآن، يبدو أن جايسون وعائلته قد عادوا إلى الوطن، وكان جايسون هو من وجد هاري ميتاً. يبدو أن لا سبيل أمامها إلى إبقاء جايسون في زوايا الماضي فقط. إنها تدرك الآن أن لا شيء ثابت في هذه الحياة؛ ومع موت هاري، بات عليها أن تواجه جايسون ثانية.

www.arabicromance.com

٢ - طعنة في القلب

كان الطقس حارقاً في الحقول، وجايسون يرتدي قميصاً زرقاء من دون أكمام وبنطلون جينز، بينما بشرته تلمع بالعرق. جلس في السيارة الصغيرة يحتسي شراباً غازياً ويراقب الحصادين المندفعين، وقد لوحتهم الشمس فيما هم يعملون بسرعة لجمع المحاصيل الناضجة ذات الرؤوس البنفسجية اللون.

أمضى صباحه في الاشراف على زرع مساحات كبيرة بما يسمّى الفاكهة المعجزة، وهي فاكهة من فصيلة سابوتاسيا اشتهرت في الأسواق المحلية وفي الخارج.

انتقلت هاڤيلا من زراعة الفواكه المدارية العادية مثل المانغا والموز والبوبو والبيايا إلى زراعة السابوتيلاس، والرامبوتان، وجاك فروت، والتفاح النجمي والزعرور الأميركي، وفاكهة كارامبولا النجمية النضرة، وكذلك جوز جندم. نمت هذه الأصناف من الفاكهة بسرعة في المناطق المدارية، وازدهرت إلى حد بعيد.

دعاه هاري إلى موافاته لشرب الشاي في منزل الأسرة بعد الظهر، ومع أن جايسون ليس من محبي الشاي إلا أنه لم ينزعج من تلك الدعوة فهو يحب صحبة هاري. وبما أن صحة هاري أصبحت واهنة في الفترة الأخيرة فهو يشعر أن من واجبه الاهتمام به.

اعترف جايسون لنفسه أن صحبة هاري تجعله يشعر وكأن ليف ما زالت جزءً من حياته.

آه، كم أحبّها! ما زال قلبه يمتلىء حباً عندما يتذكرها، مع أنه يحاول

غالباً عدم التفكير بها. لقد اعتاد على حياته المليئة باليأس وعمله الرتيب الممل، فهو من سبب ذلك لنفسه. خلال السنتين اللتين عمل فيهما إلى جانب هاري من جديد، بدا أن الناس نسوا أو غفروا له جريمة هجره لأوليڤيا لينفيلد، وريثة هاري التي يحبونها كثيراً.

كانت أوليڤيا لينفيلد أميرة بالنسبة للجميع، وهي صاحبة مكانة مميزة. إنها جائزة لأي رجل، لكنها اختارته هو. إنها أميرة أحبها وفاز بها رجل ولد في المكان الخاطىء. في السادسة عشرة من عمره، بدأ والد جايسون العمل في قطع قصب السكر كوالده من قبله. كان ذلك قبل أن تستبدل اليد العاملة بحصادات آلية، كما عملت أمه في المنزل الكبير. لم يكن هناك عيب في ذلك، إذ يُعتبر ذلك العمل وظيفة جيدة لأي شخص لم يتسنّ له التعلم.

وعندما أصبح جايسون في الثانية عشرة من عمره هجر والده المنزل. وكان رجلاً ذا طبع ومزاج مميزين. اختفى هكذا.. وببساطة تامة.

قبل رحيله، أعلن والد جايسون أنه يميل إلى الرسم، وأن الوقت ينفد منه، وأن هناك الكثير ليتعلمه. كان فينال كوري بارعاً في رسم الأشخاص والحيوانات والطيور وكل ما يقع تحت ناظريه. ترك ملاحظة لزوجته يقول فيها إنه سيحذو حذو غوغان. هل عنى بذلك أنه سافر إلى تاهيتي؟ لا أحد يعلم، لكنه - كما فعل الرسام الشهير غوغان- هجر زوجته وعائلته ولم يسمع عنه أحد شيئاً بعد ذلك.

جمعت والدة جايسون رسوم زوجها وكأنها كنوز بدل أن تحرقها. لم يستطع جايسون الادعاء أنها رسوم سيئة رغم أنه كره والده لهجره لهم. ملأ والده دفاتر الرسم برسوم تتسم بالدقة والإتقان لكل الأشخاص حوله: عائلته، رفاقه العمال، مدراؤه، آل لينفيلد، والدته الجميلة، وليف عندما كانت طفلة صغيرة. كان والده ينبهه دائماً أن ليف ستجرح قلبه في يوم من الأيام، وكم كان محقاً. تمنى لو أنه لم يتذكر ليف لأن ذلك ذكره بالماضي الأليم.

* * *

www.elromancia.com
www.darelarasha.com

لم يرَ ميغان إلا عندما وصلت إلى جانب السيارة، ونقرت على زجاج النافذة كي يفتحها.

- مرحباً ميغان.

أنزل الزجاج وأجبر نفسه على الابتسام لها، مع أن رؤيتها تجعله يشعر بالعار والخوف يزحفان إليه. لم يحب ميغان دافي يوماً، فهو يشعر بالنفور منها.

كانت ليف تعاملها بلطف دائماً، حتى إنها طلبت منها أن تكون إحدى إشبيناتها. ومع أنه لم يشعر بالاستحسان لذلك، لكنه علم أن القرار يعود إليها في النهاية. في الحقيقة، منذ حفلة عيد ميلاد شون دافي الخامس والعشرين، كان جيسون يخشى رؤية أخت شون. سألها دون اكتراث: «هل من مشكلة؟».

كان ذاهباً لرؤية ليف.. ليف حب حياته، ولا شيء سيحول دون قيامه بذلك.

- يجب أن أتحدث إليك يا جايسون.

بدت عينا ميغان كبيرتين، تحيط بهما ظلال زرقاء وبشرة شاحبة. لم تبدُ له بصحة جيدة، فداهمه إحساسه بالخوف.

- حسناً! اصعدي إلى السيارة. أنا ذاهب لرؤية ليف، يمكنني توصيلك في طريقي.

حاول أن يبدو ودوداً، لكن كل ما فيها سبب له الذعر. شعر بنفسه محتجزاً وهي معه في السيارة. أحسّ أنه على وشك الاختناق، كما شعر بجفاف في حلقه. نظر إليها ولاحظ شحوبها، فسألها: «ما المشكلة ميغان؟».

جاء صوتها خفيضاً حين قالت: «لقد تجاوزت..».

ساوره خوف مقلق فسألها: «تجاوزت ماذا؟»

- «.. الشهرين».

قالت ذلك وأجهشت بالبكاء. وعلى الفور، ظهرت بقع حمراء على

خديها وطرف أنفها.

- أنا حامل، جايسون، وأشعر بالوهن طيلة الوقت.

ارتفع صوتها لدرجة الهستيريا، وأضافت: «إنه ابنك، جايسون. إنه طفلك... كنت عذراء».

شهق جايسون وقد شعر بالصدمة. وراحت يداه ترتجفان.

- لا تفعلي ذلك بي! هل أنت متأكدة، ميغان؟ كانت مرة واحدة فقط، حتى إنني لا أذكرها. أوه، لماذا أتحدث عن ذلك؟ هل زرتِ طبيباً؟

سأل جايسون ذلك وقد أسقط في يده تماماً.

مسحت ميغان أنفها بظاهر يدها وقالت: «كان علي أن أخبرك أولاً جايسون، فأنت والد الطفل».

- آه، ميغان!

ضرب جايسون ركبته بقبضته وهو يتمزق من الشعور بالخزي، وأضاف قائلاً: «كيف سمحنا لذلك أن يحصل؟».

أجابت ميغان بنبرة واهنة: «أنا آسفة جايسون.. أنت أجبرتني، لكني لن أخبر أحداً بذلك».

على الرغم من انكماشها على نفسها، بدا ذلك كتهديد له. داس على الفرامل موقفاً السيارة بجانب الرصيف، وسمّرها بنظرة حارقة قائلاً: «لا، ميغان. ربما تصرفت بغباء، لكني متأكد أني لم أجبرك، لأن ذلك ليس من شيمي. من حقك أن تشعري بالكدر، لكن لا شك أنك شجعتني نوعاً ما».

بلطافة بالغة، لمست ميغان ذراعه مع أنه أجفل بوضوح: «أنت قلتها بنفسك، جايسون... تصرفت بغباء».

نظرت إليه والدموع تنهمر من عينيها البنيتين، منحدرة على خديها الشاحبين، وأضافت: «أنا خائفة جداً. سيقتلني أبي عندما يعرف. أنا لم أعرف رجلاً سواك جايسون، فقد كنت عذراء».

ثم تابعت تقول بحزن: «يومها أعطيتك حبوباً مهدئة للصداع. وفي اليوم

www.elromancia.com

التالي بدوت مريضاً جداً ولم تشعر بنفسك. هل تظن أنني أردت حدوث ذلك؟ كانت غلطة رهيبة. إن أوليڤيا صديقتي، وهي غاية في اللطف معي. أمي تؤمن أن أوليڤيا سيدة حقيقية، وهي تكرر ذلك باستمرار. إنها صدمة مخيفة لي أيضاً. لا يمكنك أن تتصور كم كان صعباً علي أن أتماسك حين سألتني أمي هذا الصباح إذا ما أردت إخبارها شيئاً ما. أعتقد أنها تعرف».

- أنك حامل؟

- نعم.

قالت ذلك والتعاسة بادية على وجهها، ثم أضافت: «أعلم بماذا تفكر، جايسون. أنت تكرهني».

وضع جايسون يديه على المقود ودفن وجهه بينهما. أدرك أنه لن يضحك ثانية بعد اليوم.

- أنا لا أكرهك، ميغان. لم تكن غلطتك، بل غلطتي.

- ماذا سنفعل إذاً؟

تنهد جايسون بحزن بعد أن اسودت الدنيا بأسرها في عينيه. أحسّ بطعم أشبه بطعم المعدن في فمه، وتذكر حبيبته ليف. ماذا سيكون مصيره من دونها؟ لا شك أنه سينهار ويموت. لكنه تماسك ووعدها قائلاً: «سأهتم بك، ميغان. إنه طفلي أيضاً، ولن أتخلى عن مسؤوليتي. لطالما شعرت في داخلي أن الحياة تخبىء لي مفاجآت غير سارة».

همّت ميغان بأن تلمسه، لكنه ابتعد عنها واستند إلى باب السيارة راغباً بتحطيم النافذة والخروج منها. قالت ميغان: «أوليڤيا تحبك».

جاء صوتها مشدوداً وكأن الكلمات عالقة في حنجرتها.

- ستجد شخصاً آخر.

تمتم جايسون بذلك مدركاً أن الحياة قد توقفت بالنسبة إليه. وفكر أن ليف قد تجد شخصاً يستحقها.

بعد لحظات، انحسر غضب جايسون، وتملكته الشفقة. راح يفكر أن

ميغان صغيرة جداً، وأنها تبدو يائسة، ووالدها جاك دافي رجل عنيف وفاشل وقد يتصرف بقسوة بالغة مع ابنته. إن ميغان بحاجة إلى دعمه، وكذلك الطفل الذي ينمو في أحشائها. إنه طفله، وإذا ما تعمّق بالتفكير سيجد أن الطفل هو ما يهمه. فكر بهجران والده له، وشعر أن لا خيار أمامه سوى تحمل مسؤولياته.

- طفلنا يستحق مستقبلاً، ميغان. أنا لن أهرب.

بعد مرور ساعة من الزمن، استجمع جايسون شجاعته، وذهب لمواجهة أوليڤيا التي ركضت نازلة درجات هاڤيلا الكبيرة لملاقاته، وشعرها الحريري الأسود الطويل يتطاير وراءها كأنه راية ترفرف في الهواء. بدت فائقة الجمال بجسمها الرشيق وضحكتها المشعة التي مزّقت قلبه. لن يستطيع نسيان ليف أو التعود على فراقها حتى يوم مماته.

- تلقينا المزيد من الهدايا.

قالت أوليڤيا ذلك بحماسة ورفعت وجهها إليه منتظرة عناقه. إلاّ أنه لم يعانقها، لم يعد له الحق في معانقتها بعد اليوم. لقد خسر ذلك الحق... إلى الأبد.

- يجب أن أتحدث إليك، ليف.

عكست نبرة صوته مشاعره المتألمة. أضاف قائلاً: «هلاّ خرجنا لنتمشى؟».

- طبعاً يا عزيزي.

وضعت ذراعها حول خصره قائلة: «ما الأمر؟».

شعرت بحبها له يتأجج في داخلها، لكنها شعرت أيضاً بخوف شديد. فقد بدا وجهه الوسيم قناعاً من الألم. فكّر جايسون أن الطريقة الوحيدة لإخبارها هي المباشرة فوراً.

- لدي أنباء سيئة، ليف.

قادها إلى الخارج نحو الشرفة الأمامية.

- هل أصاب أمك مكروه؟

www.liilas.com

امتلأت عينا أوليڤيا الرماديتان الجميلتان بالقلق، إذ لم تكن أنطونيلا كوري تتمتع بصحة جيدة.

- المشكلة ليست أمي...

هزّ جايسون رأسه، وأضاف قائلاً: «إنها بخير».

لكنها لن تبقى كذلك لوقت طويل. فالخبر السيء قد يدمرها، كما أن جدته ستغضب كثيراً.

- إنه أمر آخر. تعالي نمشي في الحديقة.

- أنت تخيفني، جايسون.

طوت ذراعها وأدخلتها تحت ذراعه، محدقة في جانب وجهه الحازم وفكه القوي المتجهم.

- لا أستطيع التعبير عن مدى أسفي.

لم يكن بإمكانه توقع مدى الألم الذي سيلحق بهما.

هزّت أوليفا ذراعه قائلة: «أسفك..؟ لماذا جايسون؟».

راحت الأفكار تتسارع في رأس أوليڤيا. منذ ساعة فقط، تحدثت مع جايسون وبدا لها في قمة السعادة، وها هو الآن يبدو بالغ الحزن. حتى إن بشرته الذهبية غدت بيضاء من شدة الانفعال. توقف جايسون قرب القوس المزيّن بالورود، فأخذ يحدق إليها كأنه لا يراها. لقد تم تنسيقها بشكل رائع يقارب الكمال من أجل الزفاف. كما زينت الطريق المؤدية إلى القوس بسلال متدلية مملوءة بورود زهرية اللون ذات عبير عطر.

- لا أعرف كيف أقول لك هذا، ليف. إنه أسوأ شيء حصل لي طوال حياتي. لا يمكنني الزواج منك.

حدّقت أوليڤيا به بذهول، ثم هزّت رأسها كي تصفي ذهنها.

- جايسون.. عزيزي.. لست أفهم كلامك. ستتزوجني غداً. فأنا أحبك وأنت تحبني.

- لا أستطيع أن أتزوجك، ليف.

تجمّع الحزن داخل جايسون، فرفع يده لتلامس خد أوليڤيا، ثم أنزلها.

- منذ شهرين.. قمت بتصرف مجنون لا يغتفر.

ضمّت أوليڤيا يديها معاً في وضعية الصلاة، ثم حثته على المتابعة، وبدأت عيناها اللامعتان تظلمان ترقباً لما سيقوله.

- أخبرني، ماذا حصل؟

- أحبك، ليف...

همس جايسون بذلك وصوته ينضح بالألم والحزن. ثم أكمل قائلاً: «أحبك أكثر من الحياة نفسها. كنت أعرف دائماً أنني لا أستحقك».

- أنت تستحقني... تستحقني. عمّ تتكلم؟

أمسكت أوليڤيا مقدمة قميصه وتعلقت به.

- جاءت إليّ ميغان دافي بعد ظهر اليوم وقالت لي.. إنها حامل.

قال جايسون ذلك بقسوة.

اتسعت عينا أوليڤيا وقالت: «ميغان دافي! ما علاقتها بنا؟ ميغان دافي؟».

فجأة، استدارت ليصبح ظهرها النحيل في مواجهته، وأضافت قائلة: «لا أريد أن أعرف... هل يعاقبني الله لأنني كنت سعيدة جداً؟».

- ليف، أرجوك! أنت تحطمين قلبي. ليتني... لم أكن مضطراً إلى اخبارك بذلك، لكني والد الطفل، ليف.

للحظات، وقفت أوليڤيا جامدة كالتمثال، ثم واجهته بعنف، وقد بدت عيناها كعيني امرأة تلقت ضربة قاضية.

قالت بصوت مشدود متلعثم: «ماذا تقصد بقولك إنك الوالد؟ كيف حصل هذا الأمر؟ أنت تحبني، وسوف نتزوج، أتذكر ذلك؟ أنفق هاري أموالاً طائلة ليجعل الأمور في أبهى صورة من أجلنا. أنت تكذب».

شعر باللهفة عليها. أمسك يديها بإحكام وهو يعرف أنه لن يلمسها ثانية، وقال: «لست ألومك مهما قلت، فأنا نفسي أكاد لا أصدق ما حصل».

صرخت به قائلة: «جايسون.. جايسون، توقف».

سحبت يديها بعيداً عنه، ثم تراجعت بضع خطوات. انهمرت الدموع من عينيها، فرمشتها بشراسة لتزيلها. بدأ الغضب يتصاعد في داخلها، وشعرت كأن حياتها تتناثر حولها مثل قطع الزجاج، فأرادت أن تضربه وتؤذيه. ألم يجرحها هو حتى الموت؟ قالت له وجسمها يرتجف لشدة الانفعال: «أحضر ميغان إلى هنا. أريد أن أنظر في عينيها. لقد حذّرتني رئيسة الخدم لوسي من ميغان دافي، لكنني بغبائي وثقتي بالناس أشفقت عليها. حياتها ليست جيدة، ووالدها رجل عنيف.. هل فكرت في ذلك؟ قد يقتلك بسبب ما فعلته. كيف حدث ذلك؟ ومتى؟ نحن لم نفترق أبداً... لماذا لم تقل شيئاً قبل الآن؟ هل فقدت عقلك؟ لماذا؟ لقد أحببتني... اعترفت لي بحبك مرات عديدة لا يمكنني أن أحصيها. أنت لا تحب ميغان دافي. كيف أمكنك القيام بذلك؟».

اخترقت كلماتها قلبه كالخنجر، فأجاب بكآبة: «إنها لحظة طيش، لا شك في ذلك... لا شك أنني ظننتها أنتِ... لكن، لا...!».

أبعد تلك الفكرة عن ذهنه فوراً، وأكمل قائلاً: «هذا ليس صحيحاً، لا يمكنها أن تكون أنتِ، كنت طائشاً يا ليف، وعلي أن أعيش مع هذا الواقع طوال حياتي. أمّا بالنسبة لسؤالك متى حدث ذلك، لقد حصل الأمر منذ شهرين، بعد حفلة عيد ميلاد شون دافي. لم أكن أرغب بالذهاب، لكني شعرت بوجوب ذلك، على الأقل لوقت قصير. تعلمين أن شون عضو في فريقي».

أجبرت أوليفيا نفسها على عدم الانفجار في عاصفة من البكاء. على البكاء أن ينتظر إلى وقت لاحق حين تنفرد بنفسها.

- في فريقك؟ لكم شعرت بالفخر بك وبامتيازك في الرياضة! أنت رياضي رائع، لكن شون دافي! أنت تعلم أنه معشر سوء، فلماذا تختلط بأمثاله؟

أخذت أوليفيا تضرب جايسون على صدره بقوة، فترنح فاقداً توازنه. صرخت بنبرة صوت معذبة: «ليوقفني أحدهم عن الصراخ. خنتني مع

ميغان دافي.. إشبينتي؟ هذا لا يحتمل».

لفّت ذراعيها حول جسدها وأجبرت نفسها على الوقوف، وهي تبذل جهداً كبيراً لابقاء رأسها شامخاً. قاومت شعوراً بالإغماء، إلاّ أن بشرتها أصبحت بيضاء كالحليب لشدة ثورتها.

- هل أنا في حلم؟

حدّقت في السماء الزرقاء الصافية وكأنها تنتظر منها الجواب. ثم قالت: «أنا وسط كابوس، أليس كذلك؟».

هزّ جايسون رأسه ذا الشعر الكستنائي وهو يشعر بالخجل والحزن معاً، وقال: «لا أعرف كيف حصل الأمر، ليف. لا أصدق أنه حدث».

هبطت كتفاه العريضتان، ثم أكمل قائلاً: «لن أسامح نفسي لأني سببت لك الألم».

- الألم؟ وما معنى الألم؟ ماذا عن الإذلال اللعين؟

لم يكن من عادتها أن تشتم، لكنها أوقفت نفسها بصعوبة عن كيل الشتائم، وتابعت قائلة: «دعنا لا ندور حول الموضوع. لقد جعلت مني أكبر حمقاء. أعطيتك قلبي وروحي وثقتي. على الأقل أنا لم أجبرك على الزواج بالقوة، لكن هذا ما سيفعله آل دافي. حظاً سعيداً لك مع ميغان. كنت على استعداد للذهاب معك إلى آخر الدنيا لو طلبت مني ذلك. يا لي من مغفلة! أما بالنسبة للخائنة ميغان... ظننت أنني أساعدها، لكنها استغلتني. كنت محقاً بقولك إنها مليئة بالأسرار. كنت سعيدة جداً وممتلئة بالبهجة فلم أستطع رؤية ما يجري أمامي مباشرة».

أطلقت أوليفيا نفساً مخنوقاً، وحل الأسى مكان الغضب في داخلها.

- آه، جايسون! لقد أحببتك، أنت وعينيك الزرقاوين. ظننت أن عينيك الزرقاوين الجميلتين نافذتان لروحك، لكني أيقنت الآن أن ليس خلفهما سوى الخواء.

استنشق جايسون الهواء بخشونة، شاعراً بالخجل العميق، وقال: «هذا ما أصبحت عليه الآن».

لقد خسرها وانهارت حياته أمام عينيه. انطفأ تألق أوليفيا كلياً أيضاً، فقالت بصوت متكسر: «أحببتك طوال حياتي، وهاري أحبك أيضاً. لقد فعل الكثير من أجلك وكان فخوراً لاستقبالك في عائلتنا. لقد خنتنا، وخنت نفسك».

- أعلم ذلك.

شعر بأنه رجل دون مبادىء، تماماً مثل والده.

- تعلم؟

رفعت أوليفيا ذقنها، معبّرة بحركتها هذه عن غضبها وكبريائها، وأضافت قائلة: «هل هذا كل ما يمكنك قوله؟ أنت تعلم! اللعنة عليك يا جايسون».

بدأ صوتها يرتجف في حنجرتها، والتمعت عيناها كالماس في بريق غاضب. وما هي إلا لحظة حتى رفعت يدها التي تحمل خاتمه، وصفعته بكل ما أوتيت من قوة على وجهه الجميل المشدود. تركت الصفعة بقعة حمراء على بشرته السمراء، وسال قليل من الدم حيث ارتطم الخاتم المزخرف بوجهه. وبكل ما أوتيت من احتقار قالت له: «أريدك أن تذهب. خذ خاتمك الذي لم يعنِ لك شيئاً».

خلعت الخاتم الماسي من إصبعها وقذفته به باحتقار بالغ قائلة: «لا أريد رؤيتك بعد اليوم».

كادت تختنق لشدة غضبها وحزنها.

- اذهب من هنا يا جايسون كوري. اذهب ولا تعد ثانية.

* * *

استفاق جايسون من أحلام اليقظة على يد سمراء تربت على كتفه من نافذة السيارة. أجفل قائلاً: «برونو؟».

نظر إليه برونو الذي كان يقود أحد الجرارات باهتمام قائلاً: «هل أنت بخير يا زميلي؟ لا شك أن الجو خانق داخل السيارة. أنا ذاهب إلى السقيفة لاحتساء العصير البارد. هل تريد كوباً؟».

رمش جايسون عينيه بقوة، متمنياً ألا تفضح تعابير وجهه ما يدور في رأسه من أفكار. إن الذكريات التي عادت إليه هذه المرة بدت أوضح مما كانت عليه منذ وقت طويل.

- لا، شكراً برونو.

أجابه جايسون بذلك وقد تفاجأ لأن صوته بدا طبيعياً، ثم أضاف: «اذهب أنت، أما أنا فقد طلب مني السيد لينفيلد أن أنضم إليه، ويجب أن أذهب الآن».

قال ذلك وهو ينظر إلى ساعته. ابتعد برونو الضخم عن السيارة الصغيرة ملوحاً لجايسون بيده، وقال: «أراك لاحقاً أيها الرئيس».

فكّر جايسون أنه يجدر به التخلص من ذلك الشعور باليأس الذي اجتاحه مؤخراً، كأنه هبط عليه من السماء. إنها الذكريات! أقنع نفسه أنه مع مرور الزمن بات يستطيع تمالك نفسه بشكل أفضل، لكنه لم يكن قوياً وواثقاً من ذاته كما اعتقد معظم الناس. كل ما يحتاجه هو فتح كوة صغيرة تذكره بالماضي كي يقع في الفراغ المظلم. لماذا تزعجه ذكرياته اليوم؟ لم يعد يحلم بليف، فقد تعلم السيطرة على مشاعره جيداً، وحتى على تفكيره اللاواعي. هذه الأيام لديه مسؤوليات جمّة، فهاري بات يعتمد عليه أكثر فأكثر، وقد سلمه مؤخراً إدارة هاڤيلا. تذكرْ وهو يقول: «أنت يدي اليمنى يا جايسون. أنت الأقرب إليّ بين جميع الناس بعد أوليفيا».

أصبح قاسياً كالمسمار وهو يتعلم بسرعة. لم يكرر هاري ارشاداته له مرتين، وكذلك صاحب مزرعة كارامبا الذي فعل كل ما بوسعه لإقناعه بالبقاء. إن مرض والدته بالسرطان وموتها السريع عادا به إلى موطنه. مرت عليه أوقات عصيبة جداً، إذ أحب والدته بقدر ما احتقر والده الغائب، لكن الحياة تستمر. لديه ابنته الصغيرة، تالي، عليه أن يهتم بها ويؤمن لها حياة لائقة. إنها طفلة صغيرة رائعة ذات عينين زرقاوين عميقتين، وهي لا تشبه ميغان أبداً. يدل شعرها الحريري الأسود اللامع على إرثها الإيطالي بوضوح، رغم أنها لم ترث البشرة السمراء.

اقترب جايسون من المنزل، فرأى هاري جالساً على مقعد في الحديقة بجانب البحيرة المليئة بزنابق الماء الرائعة بألوانها الزهري والقشدي وأزهار اللوتس الزرقاء المقدسة. لسبب لم يعرفه، شعر بعدم الارتياح لمنظر هاري، فأوقف السيارة واندفع نحو الطريق المغطاة بالحصى. لم يرفع هاري رأسه لينظر إليه، فكوّر جايسون يديه حول فمه وناداه باسمه.

توقع جايسون أن يلتفت هاري إليه هذه المرة، ويلوح له بيده إشارة إلى أنه سمعه، لكنه لم يتحرك، بل بقي يحدق أمامه، إلى صفحة المياه الخضراء المتلألئة.

وجد جايسون نفسه يعدو بأقصى سرعة عابراً الأرض المغطاة بالعشب الكثيف الطري.

- هاري!

تلقى جايسون عدة صدمات في حياته، وها هو يتوقع أسوأ الأمور الآن. لم يحصل على جواب من الجسد الساكن. انحنى جايسون وحدق في وجه هاري الذي كان مغطى حتى نصفه بحافة قبعته البيضاء المألوفة.

هاري! هاري العزيز! هاري الصديق! وضع جايسون يده بمحبة على كتف مرشده النحيلة. عندما كان بحاجة إلى رجل يقتدي به في حياته، كان هاري ذلك المثال الأعلى الذي أرشده. وقد علم كل شيء عن حزنه الكبير عندما خسر أوليفيا.

وجد جايسون كيساً ورقياً مفتوحاً فيه قطعاً من الخبز ملقى بجانب قدمي هاري وقد تناثرت كسرات الخبز على العشب الأخضر الزمردي. بدت تعابير وجهه هانئة، ما جعل جايسون يشعر بالارتياح وهو يدرك أن هاري فارق الحياة وهو يطعم بجعاته السوداء المحبوبة. حدّق جايسون بالبحيرة المكسوّة بالزنبق ثم تلا الصلاة بصمت.

بعد أن حمل هاري إلى البيت وبدأت غرايسي البكاء بحرقة، أخذ جايسون يفكر بنتائج موت هاري. يجب إعلام أوليفيا فوراً، إذ إنها الأقرب والأحب إلى هاري، وهي وريثته.

على غرايس أن تقوم بذلك إذا استطاع إيقافها عن البكاء، لأن آخر شيء تريده ليف هو أن تسمع صوته، لا سيّما أن جلّ ما تعرفه عنه هو أنه يدير مزرعة للماشية في منطقة نائية.

لم يخبرها هاري عن التغييرات التي حصلت في هافيلا، كما لم يقل لها إنه وظف جايسون كوري لإدارتها. ومع أن هاري لم يشرح له سبب ذلك إلاّ أن كلاهما علما أن ردة فعل ليف ستكون عنيفة، لا شك في ذلك، لذا لم يتم إعلامها بشيء. أمّا الآن، وقد أصبحت هافيلا ملكاً لأوليفيا، فعليه أن يرحل، رغم أن تالي أحبت هذا المكان. قرر جايسون أنه لن يذهب قبل أن يضع الورود القرمزية المفضلة لدى هاري على قبره.

٣ ـ أريدك أن ترحل

سافرت أوليڤيا جواً في رحلة مبكرة أكثر مما توقعت. وقبل ذلك اتصلت بالدكتورة هيلاري لوكوود، مديرة مدرسة أورميستون غرام للبنات، وأبلغتها النبأ السيء. أبدت الدكتورة لوكوود تعاطفها مع أوليڤيا، وأكدت لها أن لا حاجة لحضورها إلى المدرسة في اليوم التالي.

قررت أوليڤيا أنها حالما تصل إلى وجهتها ستتصل بغرايس لتؤمن لها شخصاً يقلها من المطار، وغرايس تعلم أن عليها ألا تفكر بإدراج اسم جايسون كوري للمساعدة في ذلك.

أمضت الليلة الفائتة ساهرة في سريرها، حزينة لموت العزيز هاري، ومحاولة أن تعرف سبب وجود جايسون كوري في هاڤيلا عندما مات هاري.

أتراه عاد إلى موطنه للبقاء مع أمه المريضة؟ يقول البعض إن صحة أنطونيلا كوري بدأت تتراجع بعد أن هجرها زوجها. هل ماتت ريناتا، جدة جايسون؟ يصعب على أوليڤيا تصديق ذلك، إذ لطالما اعتبرت أن لا حدود لعمر ريناتا، وأنها أكبر من الحياة. لكنها فكرة غبية، إذ إن الحياة تحمل معها دائماً تغييرات هائلة.

هل للأمر علاقة بعائلة ميغان؟ لم تشأ أوليڤيا أن تفكر بميغان دافي على الإطلاق، ورفضت أن تفكر بها كزوجة لجايسون أو كأم لطفله، لأن ذلك الدور كان مقدراً لها هي أن تلعبه.

كم كانت بريئة وساذجة! لكنها لم تعد تذرف الدموع بسبب ما حصل. فالحب والخيانة والخداع كلها أصبحت خيالات من الماضي لا أكثر. اتضح

لأوليڤيا خلال السنوات الماضية أن ميغان أحبت جايسون. إلاّ أنها لم تكن الوحيدة في ذلك، إذ سحر جايسون كوري نساء كثيرات بجاذبيته، ولون بشرته الرائع، وبنيته القوية، وطريقة مشيته وجسده الرائع.

لكنه كان لها، وكانت متأكدة من ذلك. لم تشك للحظة واحدة بحب جايسون لها، كما لم تشعر بالغيرة أو الخوف من أن تأخذه منها امرأة أخرى. لم تستطع إحداهن فعل ذلك لأن جايسون أحبها، وهي أحبته بدورها. لم تخطر الخيانة في بالهما، إلى أن تدخلت ميغان دافي.

جلست أوليڤيا في الطائرة بهدوء. أراحت رأسها على النافذة البيضاوية الشكل، وراحت تحدق بكتل السحاب الأبيض وجناح الطائرة الفضي.

بعد حوالي ساعتين، حطت الطائرة، فجمعت أوليڤيا حقائبها ووضعتها في عربة، ثم اتصلت بالمنزل. لدهشتها، لم يرد أحد على الهاتف. انتظرت خمس دقائق ثم اتصلت ثانية، لكن النتيجة كانت نفسها إذ لم ترد غرايس على الهاتف. فكّرت أنها قد تكون في مكان ما في المنزل، ولم تسمع رنين الهاتف. أسفت لأنها لم تتصل بغرايس من بريسين مسبقاً بل أجّلت الأمر إلى الآن. هذه غلطة، فغرايس لا تتوقع وصولها قبل ساعات. ربما تكون مشغولة بتحضير غرفتها القديمة أو بترتيب المنزل على أكمل وجه.

سيحضر أشخاص كثيرون إلى مأتم هاري وقد يعودون معهم إلى المنزل... مأتم هاري!

عضّت أوليڤيا شفتها بقوة، وأحنت رأسها. لم ترفع رأسها إلاّ بعد أن استعادت رباطة جأشها مجدداً.

رأت خارج المطار صفاً من سيارات الأجرة، وكانت إحداها تغادر، فيما بقيت هناك خمس سيارات أخرى. فكرت أن أمامها رحلة طويلة إلى هاڤيلا، وعليها البدء بها حالاً.

رغم أن سيارة الأجرة مكيفة، إلاّ أن أوليڤيا أنزلت زجاج النافذة قليلاً كي تشعر بالحرارة في دمها. أينما نظرت كانت ترى اللون الزمردي الأخضر للنباتات التي تتنافس في عرض رائع للألوان، وقوس السماء

العظيم في الأعلى يعكس اللون الأزرق المخضّر العميق.

بمحاذاة المياه، بدت المناظر خلابة. لقد أزهرت أشجار الكسكارة الذهبية، وكذلك البونسيانة الرائعة التي تعشق الأرض. أعطت البوغنفيلية، وهي نبتة المدارين، تأثيراً رائعاً بارتفاعها وتألقها وجذبها للفراشات من حولها.

نقل سائق السيارة نظراته بإعجاب من جانب إلى آخر، وعلّق قائلاً: «يا له من مكان جميل! إنها المرة الأولى التي أقل فيها أحدهم إلى هذا المكان. إنها تجربة حقيقية. هل أنت زائرة يا آنسة؟».

- هذا بيتي.

- هل تمزحين؟

فوجيء السائق بجوابها حتى كاد يوقف السيارة، وأكمل قائلاً: «ظننت أنه ملك للسيد لينفيلد».

- أنا ابنة أخيه.

توقفت سيارة الأجرة في الفسحة الواسعة، عند أسفل الدرج الرخامي الذي يؤدي إلى الشرفة. حمل السائق حقائبها ووضعها على الشرفة. وقفت أوليفيا تحت الشمس الساطعة تحدّق إلى المنزل. إنه بيت كبير مهيب ذو أعمدة فخمة، وهو مطلي باللون الأبيض التقليدي، أمّا مصاريع نوافذه فمطلية باللون الكحلي. تذكرت أوليفيا أنها كانت خضراء في الماضي، لكنها اعترفت أن اللون الأزرق الغامق اللماع يبدو جيداً، إذ إنه تغيير جميل.

دفعت أوليفيا أجرة السائق ونقدته إكرامية سخية. انتظرت لحظة إلى أن ذهبت سيارة الأجرة، ثم داهمها الحزن فجأة... لم يأتِ هاري لملاقاتها.

حدّثت نفسها قائلة: «هيا! اصعدي. حركي رجلاً بعد أخرى، فهذا منزلك. إنه بيتك الآن. عليك أن تتخطي محنة الأيام المقبلة وجنازة هاري واحتمال مواجهة جايسون كوري».

تلقائياً، عادت إليها ذكريات الليالي النيلية على الشاطىء مع جايسون، ونداء البحر، وكيف كانت الرمال البيضاء تجد طريقها دائماً إلى البساط

الذي يجلسان عليه. تذكرت أوليفيا عناق جايسون لها على الشاطىء، حتى راح جسدها يرتعش.

لم تختبر أوليفيا مثيلاً لذلك الإحساس منذ تلك الأيام حيث كانت همسات التحبب تنسكب من شفاههما، ثم يتوقف الكلام عندما يفيض بهما الشوق، فتتوقف كل قدرة على الحديث. ما زالت تحمل تلك الذكريات عميقاً داخل خلاياها، ولن تتحرر منها مطلقاً.

صعدت الدرج كسيرة الفؤاد، وتوجهت إلى الظل على الشرفة الواسعة. سمعت حركة في الحديقة لكنها لم تتمكن من رؤية أي شيء عبر ستار الأشجار الكثيفة. وفكرت بغرايس، لا بد أنها تشعر بالوحدة وهي بحاجة إلى مساعدة بعد موت هاري.

لقد أحبّت غرايس هاري كثيراً، وعملت لديه قرابة الثلاثين عاماً، واعتبرته أفضل رب عمل في العالم.

توجهت أوليفيا نحو المدخل الساكن المغطى بالرخام الأبيض. كل شيء هناك ذكّرها بخسارتها، لا سيّما الرائحة الغنية للورود القرمزية التي تسللت إليها من إناء زهور مصنوع من الكريستال موضوع فوق طاولة المدخل. فالورود هي أزهار هاري المفضلة.

ما إن شقت طريقها إلى الداخل حتى سمعت وقع خطوات خفيفة وراءها. استدارت بسرعة، ولدهشتها، رأت فتاة صغيرة ذات شعر أجعد غامق ترتدي قميصاً بيضاء وبنطلوناً قصيراً مطبعاً بالزهور. خرجت الفتاة من إحدى القناطر وأسرعت باتجاه الباب الأمامي.

نادتها أوليفيا وكأنها تحاول إيقاف تلميذة شابة هاربة: «أنت هناك... مرحباً. أين تذهبين أيتها الفتاة الصغيرة؟»

توقفت الفتاة عن الفرار، واستدارت لتقف أمام أوليفيا بشموخ مثل الكبار، ثم راحت تنظر إليها بعينيها الزرقاوين.

- أنا أوليفيا.

- وأنا تالي. إنني أبحث عن غرايسي.

- أحقاً؟

كادت أوليڤيا تضحك بصوت عالٍ عندما لمست نبرة كبرياء في صوت الطفلة. أكملت تسألها: «وأين غرايسي؟».

- إنها في المطبخ. هل أناديها؟

- لمَ لا نذهب إليها معاً؟

قالَت أوليڤيا ذلك ثم مدت يدها. اقتربت الطفلة منها، وأمسكت يدها، ثم نظرت إليها قائلة بصوت صبياني: «أنت سيدة جميلة».

- شكراً لك. وأنت جميلة أيضاً.

- أحب قرطيك وساعتك.

- لديك ذوق جيد. أخبريني، تالي هو اختصار لأي إسم؟

- ناتالي.

ثم ضحكت وأضافت: «لكن لا أحد يناديني هكذا».

- أين أمك؟

سألتها أوليڤيا ذلك معتقدة أنها طفلة إحدى الخادمات. نظرت الطفلة بعيداً وأجابت: «لا أعلم».

- لا تقلقي، سنجدها.

أطلقت تالي ضحكة صغيرة غير متوقعة، وقالت: «يفترض بي أن أتلو الصلوات كل يوم، لكني لا أفعل ذلك».

أوشكت أوليڤيا أن تسألها ماذا تعني بذلك، وفي تلك اللحظة أطلّت غرايس من باب المطبخ. ما إن رأت أوليڤيا وتالي متشابكتي الأيدي حتى أجفلت بقوة، وهمست بصوت مرتجف: «لقد تقابلتما إذن!».

- مرحباً غرايسي، ماذا يجري هنا؟

أفلتت أوليڤيا يد الطفلة وركضت نحو مدبرة المنزل، وحضنتها بشوق قبل أن تضيف هامسة: «هيا! لا تبكي الآن».

ربتت أوليڤيا على ظهر غرايس آملة ألا تبدأ بالبكاء هي أيضاً.

- لا يمكنني تمالك نفسي.

وارتجفت كتفا غرايس الممتلئتين.

- أعلم ذلك.

اقتربت منهما تالي، وأحاطت ساقي أوليڤيا بذراعيها قائلة: «أنا خائفة».

ابتعدت المرأتان عن بعضهما وركزتا اهتمامهما على الطفلة. قالت لها أوليڤيا بصوت حنون مشجع: «لا داعي للخوف، تالي».

هزّت تالي رأسها واتسعت عيناها بحزن قائلة: «أنتِ الآنسة أوليڤيا؟».

- أوليڤيا فقط.

- جئتِ لرؤيتنا لأن عمي هاري مات؟

تحركت غرايس بانزعاج وقالت: «كان يجب أن أخبرك ليلة البارحة... أنا خجلة من نفسي.. كنت أحاول إخبارك بذلك».

- تخبريني ماذا؟

نظرت أوليڤيا إلى عيني مدبرة المنزل الحمراوين، ولاحظت أن وجه غرايس المرح المألوف قد ذبل لكثرة البكاء.

- لم أجرؤ...

حثّتها أوليڤيا على المتابعة: «آه، هيا! ما المشكلة غرايس؟ كلامك ليس مفهوماً».

- كان عليك إخبارها.

وبّخت الطفلة غرايس، وأضافت: «أنا تالي كوري».

وضعت تالي يدها على ذراع أوليڤيا وسألتها: «هل ستكرهينني؟».

نظرت أوليڤيا إلى الفتاة الصغيرة بصمت وقد علا الذهول وجهها. شعرت برأسها يدور وكأنها على وشك الاغماء. هذه طفلة جايسون! من تراها تشبه؟ إنها لا تشبه جايسون ولا ميغان، لكنها تبدو مألوفة بشكل مبهم.

- كم عمرك، تالي؟

أجابت تالي بفخر: «سأبلغ السابعة من العمر في عيد ميلادي المقبل.

www.elromancia.com

أنا طويلة بالنسبة إلى عمري، فأنا بنفس طول صديقي داني، لكني لا أقرأ كتباً هزلية سخيفة».

التفتت أوليڤيا نحو غرايس من جديد، وراحت ترمقها بعينين رماديتين جليديتين، ثم سألتها: «ماذا يجري هنا غرايس؟».

حركت غرايس قدميها بتثاقل قائلة: «مكانتي في المنزل لم تخوّلني إخبارك، ليڤي».

- إخباري بماذا؟ أن تالي الصغيرة لها حرية الدخول والتنقل في المنزل؟ أنها تنادي هاري «عمي هاري»؟ أين تعيش؟ أين أمها؟ ماذا تفعل هنا الآن؟ أخبرتني أنها تبحث عنك.

هزّت غرايس رأسها وعلّقت بنبرة ملؤها العطف: «يا للفتاة الشقية!».

لاحظت تالي تعابير وجه أوليڤيا، فخاطبتها قائلة: «اسمعي. لا تغضبي، ولا تطرحي المزيد من الأسئلة على غرايسي، بل اسألي أبي».

- هل هو هنا الآن؟

شعرت أوليڤيا بغضب شديد، ولم تدرِ إذا ما كان بمقدورها التعامل مع هذا الوضع.

قالت تالي عارضة مساعدتها: «سآخذك إليه. يمكن أن تصبحا صديقين».

- أبداً!

قالت أوليڤيا ذلك بحدة رافعة ذقنها.

نظرت تالي بعينين مستديرتين راجيتين نحو وجه أوليڤيا المصدوم وقالت: «أنتِ تعلمين أن أبي لا يكرهك».

راحت غرايس تلوي يديها بعصبية وقالت: «ماذا ستظنين بي الآن؟ أنا خجلة جداً. كان عليّ أن أحذرك».

ثم بدأت البكاء ثانية.

- غرايس، أرجوكِ.

حاولت أوليڤيا تهدئتها. إنها لا تستطيع أن تلومها لأن الأمر لم يكن

بيدها. لقد نفّذت ما تلقته من تعليمات فقط.

- مسكينة غرايسي العجوز.

حاولت تالي احتضان جسد غرايس السمين، وأضافت قائلة: «لا بأس، لا تقلقي. سيأتي أبي قريباً».

- إنه هنا الآن.

جاء الصوت الذكوري النابض بالحياة من مكان ما في الخارج على الشرفة. ثم أمرها بحزم: «تالي، تعالي إلى هنا. ما معنى هروبك؟».

رفعت الطفلة صوتها من دون أن تتحرك من مكانها: «إني أزور غرايسي فقط».

- في المرة المقبلة عليك أن تخبريني.

خلع جايسون حذاء العمل المليء بالغبار، ووضعه على الشرفة ثم عبر الباب الأمامي ورأسه متجه نحو الأسفل قائلاً: «أنت تدللينها، غرايسي. في كل مرة أعمل قريباً من هنا، تأتي تالي...».

في تلك اللحظة، رفع رأسه ورأى أوليڤيا... جاءت صدمته عنيفة إلى حد أن صوته تكسر مع آخر كلمة، ثم داهمته موجات متعاقبة من الحرارة جعلته يغلي وكأن سلكاً كهربائياً مسّه.

- ليف.

ضم قبضتيه بشدة إلى أن ابيضت مفاصل أصابعه.

وجدت غرايس، التي تشعر بالتوتر، الفرصة سانحة لتختفي. أمسكت يد تالي بسرعة وبشدة، ثم جرتها نحو المطبخ متمتمة بشيء ما عن البوظة بالشوكولا.

احتاجت أوليڤيا إلى إرادة جبارة لكي تبقى واقفة في مكانها، رغم أن دافعاً داخلياً كان يحثها على الهرب والقيام بأي شيء آخر عدا الوقوف هناك ومواجهة الرجل الذي خانها. تشبثت يدها بدرابزين الدرج لئلا تترنح. لم يعد باستطاعة جايسون أن يؤذيها بعد الآن، لأنها لن تسمح له بذلك. لكن، لماذا تحرق الدموع عينيها؟ فتحت فمها، إلاّ أنها شعرت بانقباض في

www.elromancia.com

حنجرتها ولم تتمكن من التفوه بكلمة. بعد أن رأته الآن، تفجرت في داخلها تلك المشاعر التي حاولت قمعها لمدة طويلة.

آه! يا إلهي، لا! راحت أوليڤيا تصلّي بصمت. لا شك أن خطباً أصابها. هزّت رأسها بسرعة غير مدركة أن مشاعرها المحمومة تلتمع في عينيها. مرّت ست سنوات أو أكثر، لكن الذكريات القديمة ما زالت تداهمها، لا سيّما شعورها بالإذلال، والغضب، وتحطم الفؤاد، والاشتياق إليه رغم خيانته. هذه المشاعر كلها عادت إليها الآن حيّة واضحة كأنها حصلت البارحة.

كسر صوت جايسون الصمت الخائف: «لم نتوقع وصولك قبل المساء».

ابتلعت أوليڤيا ريقها بصعوبة بسبب غضبها إذ كان من الصعب عليها أن تتمالك نفسها. أجابته ببرود: «وأنا لم أتوقع رؤيتك أيضاً. ماذا تفعل هنا يا جايسون؟».

- إنني أعمل هنا، ليف.

توجه نحوها بصورة لا إرادية. إنها معجزة! فكر بذلك وهو يراها تقف هناك أمامه، وكأنها خرجت من حلم. للحظة، فكر أنه سيقدم على عمل مجنون كمحاولة عناقها أو ربما أسوأ من ذلك كالاعتراف أنه ما زال يريدها... لكنه لم ير في حياته امرأة تبدو جليدية على هذا النحو كما تبدو أوليڤيا الآن.

حذّرته أوليڤيا بقسوة وهي تتراجع بشكل ملحوظ: «إبقَ هناك. لا تقترب مني».

- أنا آسف.

توقف جايسون على بعد خطوات قليلة، وهو يشعر باحتقاره لنفسه. أكمل قائلاً: «لم أقصد إخافتك، ليف. علينا أن نتحدث».

أجبرت أوليڤيا نفسها على الضحك، فجاءت ضحكتها شاذة خالية من المرح.

- ليس لدي ما أقوله لك يا جايسون. أريدك أن تذهب.

شعرت بلذة عارمة عندما رأت قسمات وجهه تتقلص. بدا أكبر سناً، أشد قوة، وأكثر قسوة ووسامة. والأسوأ من ذلك أنه بدا رجلاً معتاداً على السلطة.

- يسعدني أن أذهب، أوليڤيا، لكن بعد أن تعطيني بضع دقائق من وقتك. أريد أن أشرح لك بضعة أشياء لم يذكرها لك هاري.

- مثل ماذا؟

لم تشأ أوليڤيا أن تنظر إليه لكنها لم تستطع الإشاحة ببصرها عنه. كان يرتدي ثياب العمل، ما يدعم قوله إنه يعمل في هاڤيلا. كان يرتدي قميصاً زرقاء احتضنت كتفيه العريضتين وعضلات صدره، أما بنطلون الجينز الذي يرتديه فيلف وركيه النحيلين ورجليه الطويلتين بإحكام. ومع أن ملابسه بسيطة، لكنها ناسبت جسده إلى حد الكمال. شعرت أوليڤيا بتأثيره القوي عليها ما جعلها تشعر بالصدمة.

أحسّت أن جبينها يحترق من الحرارة، وداهمها شعور عارم باحتقار الذات وبالوضاعة. فبدلاً من أن تتجاوب مع جاذبيته الواضحة، عليها أن تتذكر الألم العظيم الذي سببه لها. أين كبرياؤها؟

- ماذا لديك لتقوله؟ إذن، أنت تعمل هنا؟ لا أعلم لماذا سمح هاري بذلك. لا يمكنني مساعدتك أبداً.

- هلاّ ذهبنا إلى المكتبة؟

اقترح جايسون ذلك. وتابع: «الأصوات تنتقل عبر القاعة».

أدركت من العبوس الذي بدا على وجهه أنه يخشى أن تسمع الطفلة حديثهما. وبسبب ذلك فقط وافقت على اقتراحه، وتقدمته إلى غرفة المكتبة التي ما زالت جميلة وبهية كما كانت في السابق. استدارت أوليڤيا نحوه، إذ لم يكن لديها خيار آخر. وسرعان ما شعرت بألم في صدغها الأيمن. راحت تضغط بإصبعها على موضع الألم، ثم خاطبته قائلة: «لديك دقيقة واحدة فقط جايسون، بعدها أريدك خارج هاڤيلا. كيف وافقت زوجتك على

العودة إلى هنا؟ ظننت أنك تدير مزرعة أوتباك».

بذل جايسون جهده للسيطرة على مشاعره المتمردة. لطالما بدت أوليڤيا فتاة لطيفة، وها هي قد أصبحت امرأة رائعة الجمال. غدت ملامح وجهها أكثر جمالاً. ليته يستطيع أن يخبرها كم أصبحت جميلة، لكنه بالطبع لا يستطيع. أجابها مفسراً: «توفيت أمي منذ أكثر من سنتين، أوليڤيا. عدت إلى المنزل لأكون معها في أيامها الأخيرة».

- أنا آسفة.

طأطأت أوليڤيا رأسها وشعرت بالحزن لأنها لم تتمكن من رؤيتها قبل مماتها. أكملت كلامها قائلة: «لطالما أحببت أمك. كنا دوماً على وفاق، ولم نتجادل مطلقاً. وبعد أن ماتت لماذا لم تعد إلى أوتباك؟».

- لأن هاري عرض علي عملاً. التقينا صدفة ذات يوم، فتحدثت إليه واستمع إلي، لطالما كان مستمعاً جيداً ورجلاً عادلاً. ثم توليت إدارة هاڤيلا وأعمال هاري الأخرى في السنتين الماضيتين.

تلك المعلومة الأخيرة أصابتها بصدمة بالغة وسببت لها الإزعاج، فقالت: «لم يخبرني بشيء من ذلك».

- لم يشأ هاري أن يكذب أو يدّعي.

شعرت كأن نظرات جايسون تحرقها. كانت ترتدي قميصاً حريرية وتنورة مناسبة، وبدا كأن بريق الخزامى ينعكس في عينيها. أكمل جايسون كلامه بهدوء: «كان هاري يعرف تماماً ما الذي ستكون عليه ردة فعلك».

لم تتحمل أوليڤيا قربه منها على هذا النحو. استدارت على عقبيها ومشت مبتعدة باتجاه الباب المفتوح، وراحت تحدق إلى الحديقة من دون أن ترى شيئاً. قالت بنبرة صوت ملؤها الألم: «ظننت أن هاري أحبني».

- كنتِ كل شيء في العالم بالنسبة إليه.

قال جايسون ذلك محتجاً على كلامها بنبرة بدت نابعة من صميم قلبه وروحه. لم يستطع أن يتحمل رؤيتها وهي تشعر أنها تعرضت للخيانة. إلاّ أن أوليڤيا هزّت رأسها بعنف وقالت بصوت كئيب: «لكنه سمح لك بالعودة

إلى حياته».

بدا الألم في عيني جايسون عندما قال: «لقد سامحني هاري يا أوليڤيا، حين عرف كيف أصبحت حياتي بعد أن خسرتك».

استدارت نحوه بسرعة وعيناها تلمعان كجوهرتين صلبتين، ثم قالت ساخرة بنبرة ملؤها المرارة: «آه! أحقاً؟ لقد تزوجت امرأة أخرى يا جايسون، هل تذكر؟ لديك ابنة منها، وأتوقع وجود أطفال آخرين، صحيح؟».

علت الكآبة وجه جايسون وأجاب: «لدي تالي فقط».

- ما كان يجدر بهاري أن يفعل ذلك!

مرة أخرى، ذاقت أوليڤيا مرارة الخيانة. وفكرت: في النهاية، ألا يتضامن الرجال مع بعضهم البعض؟ لطالما شعر هاري بمحبة عميقة نحو جايسون الذي عاش من دون أب.

- حسناً! لقد فعل.

أكد لها جايسون ذلك بصراحة. ثم تابع قائلاً: «لم يكن عمله نابعاً من اللطافة فقط، رغم أن هاري كان اللطافة بعينها. المسألة هي أنه احتاج بشدة إلى المساعدة في المرحلة الأخيرة من حياته وأدرك أنني قادر على تولي ذلك العمل، فكلفني الاهتمام بكل الأعمال في هاڤيلا. أشك في إمكانية أن تجدي شخصاً أفضل، أو يعمل بجد أكثر مني».

- يمكنك أن تراهن بحياتك أنني سأحاول. لا بد أنك أدركت بأن عليك الرحيل من هنا يوماً ما.

قالت أوليڤيا ذلك، ولم تستطع إخفاء نبرة الانتصار من صوتها. هزّ جايسون رأسه قائلاً: «طبعاً! وأنا جاهز للرحيل، أوليڤيا. لا أتخيل شيئاً أسوأ من البقاء هنا وتعريض نفسي لانتقاداتك. صحيح أنني عملت مع هاري، لكن محاولة العمل معك أمر مختلف. فهاري كان يحتاج إلى شخص يثق به ليدير له أعماله، وأنا أتقن إدارة الأعمال بشكل جيد. معاً أصبحنا قادرين على تحويل أفكاري المتطورة إلى انتصارات. سوف أشعر بالامتنان

له دائماً لأنه أعطاني فرصة ثانية. لم يكن الأمر سهلاً عليه، إذ لم يعجبه واقع أنه لم يكن صريحاً معك، لكنه لم يشأ أن يجرح مشاعرك. أتساءل كم من الوقت يلزمك لكي تدركي أنك لا تستطيعين تولي الأمور وحدك؟».

- لن تكون هنا لتعرف.

هزّت أوليفيا شعرها الطويل الذي نما طوال ست سنوات. ثم سألته: «أين تعيش؟».

هزّ جايسون رأسه قائلاً: «ليس هنا، إذا كان هذا قصدك. تركت لي أمي منزل العائلة وأنا أعيش فيه مع تالي».

رقّت تعابير وجه أوليفيا المتكبرة المتباعدة وسألته: «ماذا عن ريناتا؟».

- ما زالت تعيش في منزلها، وهي تعتني بتالي.

- وهل ميغان دائمة الانشغال بحيث لا تهتم بابنتها الصغيرة؟

شعرت بغضب شديد بعد أن ذكرت اسم ميغان.

- لقد رحلت ميغان يا أوليفيا.

صدمها قوله إذ كان ذلك آخر شيء توقعت سماعه.

- رحلت؟ إلى أين ذهبت؟

أدرك جايسون أنه كان يحبس أنفاسه منتظراً هذا السؤال.

- لم ينجح زواجنا، ليف. لم أحب ميغان أبداً ولم أستطع إجبار نفسي على حبها رغم أنني حاولت إنجاح زواجنا. في الواقع، لا يستطيع المرء أن يحب تحت الإكراه. في النهاية، شعرت ميغان بالمرارة والغضب فرحلت.

تكور فم أوليفيا بعدم تصديق، ثم قالت: «هكذا إذن! أن تهجر المرأة رجلاً لا يحبها يعد عملاً بسيطاً، لكن ماذا عن الطفلة؟ كيف استطاعت فعل ذلك؟ أم أنك رفضت منحها الوصاية على تالي؟ أتصورك تفعل ذلك».

أجابها جايسون بقسوة: «لم تشأ ميغان الاهتمام بتالي، لأنها اعتبرتها عبئاً لا تريد أخذه معها. لم تكن والدة جيدة، ولم ترتبط مع تالي بشكل جيد منذ البداية، إذ افتقدت إلى مسحة الأمومة التي يفترض بكنّ أنتنّ النساء امتلاكها».

حدّقت به أوليفيا بعينين متسعتين، وقد بدت مصدومة وغير قادرة على التصديق. سألته: «وأين هي الآن؟».

هزّ جايسون كتفيه بلا مبالاة، وأجابها: «آخر ما سمعته عنها هو أنها تعيش مع أحدهم في المقاطعة».

تشدّقت أوليفيا باقتضاب، سامحة لنفسها بإطلاق مشاعرها: «حسناً! جايسون. لقد اقترفت خطأ».

ثم تابعت: «أنا أشعر بالأسى على تالي، لا شك أنها تشعر بالحزن والهجران».

توتر فكا جايسون، وقال: «أعتقد أن تالي عانت الأمرّين مع ميغان أثناء غيابي عن المنزل».

رمشت أوليفيا بعينيها، وسألته بحدة: «هل يمكنك أن توضح ما قلته؟».

- لا أريد الخوض في هذا الموضوع، أوليفيا.

جاءت نبرة جايسون جافة، ثم تابع قائلاً: «لم تعش ميغان طفولة سهلة، وقد أثر ذلك عليها. ربما لم أستطع أن أحبها، لكني حاولت دائماً أن أتصرف بإنصاف معها. في الواقع، شعرت بالسعادة حين رحلت، إذ كنت أشعر قبل ذلك بالقلق من أن تؤذي تالي».

- ومتى رحلت؟

- عندما كانت تالي في حوالى الرابعة من عمرها.

- إنها لا تشبهك.

فوجئت أوليفيا نفسها بهذا التعليق. لكنها تابعت قائلة: «وهي لا تشبه ميغان أيضاً. مع أن فيها ملامح مألوفة».

هزّ جايسون كتفيه قائلاً: «ظننت أن عينيها تشبهان عيني»

نظرت أوليفيا بعيداً قبل أن تنفجر بالبكاء، ثم قالت: «فقط في كونهما زرقاوين. ليتني أستطيع القول كم أنا آسفة على وجود هذه الفوضى في حياتك، جايسون. لكنني لست منافقة».

- في الماضي كنت مثالاً للتعاطف.

أجابها بذلك آسراً نظرتها. وأضاف: «لم تكن القسوة من طبيعتك».

أجابته والاحمرار يغزو خديها: «لم أقل إنني فخورة بنفسي».

وما لبثت أن أضافت: «لقد حصلت على التعاطف من هاري على أي حال، فلا تتوقع ذلك مني. بعد المأتم لا أريد رؤيتك ثانية يا جايسون».

٤ ـ أهذا ما تخافينه؟

كان مأتم هاري لينفيلد لائقاً لمركزه المحترم في المجتمع، وقد حضره الكثير من الأشخاص بحيث اكتظت بهم الكنيسة، تماماً كما توقعت أوليڤيا. تجمع المعزّون داخل الكنيسة حيث يسود الهدوء، محيين بعضهم البعض بأصوات حزينة خافتة، في حين وصلت مجموعات أخرى إلى باب الكنيسة المفتوح ولم يجدوا مكاناً لهم وسط ذلك الزحام، فاكتفوا بالوقوف خارجاً تحت أشعة الشمس الحارقة أو اللجوء إلى ظل شجر الماغنوليا في فناء الكنيسة.

تسلم كلّ من المعزين كتيباً للصلاة، فيما جلست أوليڤيا في المقدمة بصفتها الأقرب والأحب إلى هاري لتستقبل التعازي مع أقاربها الذين حضروا من مختلف أنحاء العالم لحضور المأتم.

نظرت أوليڤيا إلى الجهة المقابلة في الكنيسة ورأت جايسون ببذلته الرسمية السوداء وتعابير وجهه الكئيبة المشدودة، فبدا شديد الوسامة. تفحصته مطوّلاً، ولاحظت كم بدا مألوفاً لها. تذكرت المشاعر التي تشاركاها في ما مضى، فأحست بطعنة في صدرها؛ كانا سيتزوجان في هذه الكنيسة!

«لا تفكري به، بل فكري بهاري»، هذا ما قالته لنفسها وهي تنتزع نظراتها عنه.

وزّعت الأزهار في كل مكان، فقد طلبت أوليڤيا الكثير منها رغم حرارة الجو، لأن هاري أحب الأزهار طيلة حياته، فكانت أزهار الزنبق والورد والقرنفل والأوركيد تملأ المكان، إضافة إلى إكليل من الزنبق الأبيض وضعته أوليڤيا على تابوت هاري.

وقف الجميع عندما توجه الكاهن الطويل ذي الشعر الفضي إلى يمين

www.elromancia.com

الضريح. بدأ الكاهن يتحدث عن الموت والحياة والنشور وأشياء أخرى تقال عادة في المآتم، ثم بدأ عزف الأرغن ففتح الموجودون كتب الصلاة ليشاركوا في الترانيم. شعرت أوليڤيا بالاختناق، ربما بسبب الزهور الكثيرة التي، على الرغم من جمالها، ملأت الأجواء بعبيرها القوي ما جعل أوليڤيا غير قادرة على التنفس.

نهض عدة أشخاص وتوجهوا نحو المكان المخصص لإلقاء كلمات التأبين لهاري. لم تستطع أوليڤيا فهم ما كانوا يقولونه، إلى أن نهض جايسون كوري وتوجه نحو مقدمة الكنيسة. للحظة، رفضت النظر إليه، لكن حضوره بدا قوياً جداً، ولأول مرة سمعت بوضوح، إذ راح صوت جايسون الواضح يرنّ بشكل مؤثر في أرجاء الكنيسة.

فكّرت بصمت أنها لن تبكي. لم تجرؤ على البدء بالبكاء، وفي الوقت نفسه لم تستطع الصمود أكثر، إذ تجمع الألم والحزن والعذاب في داخلها. كان حديث جايسون مؤثراً، حتى إنه جعل الحاضرين يضحكون بهدوء حول أشياء قالها هاري أو فعلها. لم يستطع الموجودون إشاحة نظرهم عن جايسون، وقد حول الضوء المنسكب من زجاج النافذة الملون خلف المذبح لون شعره إلى ذهب خالص.

كم تألمت بسببه طوال سبع سنوات! إنها لا تستطيع الصمود دون التفكير به على الإطلاق...

أصابها الدوّار، وشعرت بالحرارة الشديدة ثم بالبرودة. رائحة الأزهار والزنابق البيضاء على تابوت هاري سببت لها ما يشبه الاختناق. حاولت أن تسعل، وبدلاً من ذلك، انهارت على أحد جانبيها...

فتحت أوليڤيا عينيها لتجد نفسها جالسة على مقعد طويل في غرفة جانبية في الكنيسة، وظهرها ورأسها مستندان إلى الحائط الحجري البارد.

- ماذا جرى؟

أجابها جايسون: «غبتِ عن الوعي».

- آه، لا!

أرجعت رأسها إلى الوراء، وأغمضت عينيها ثانية، وقالت: «هل حملتني إلى هنا؟».

جاءت ابتسامة جايسون قصيرة وملتوية.

- إنهم ينشدون الترنيمة الأخيرة.

اخترقت الأصوات خشب الباب السميك، تابعت أوليڤيا قائلة: «أردت أن أقرأ قصيدة اخترتها خصيصاً».

- ابقي هادئة للحظة، أوليڤيا.

قال جايسون ذلك وعيناه تراقبان شحوبها الواضح.

عبرت وجهها لمحة قلق، ثم قالت: «كم أتمنى انتهاء هذا».

- أعتقد أنك لا تريدينني أن أبقى بجانبك، أليس كذلك؟

قال جايسون هذا وهو يعرف الجواب مسبقاً.

- لا.

لم يكن لديها خيار آخر سوى قول الحقيقة. ثم تابعت تقول: «كنت في الماضي منقذاً جيداً. شكراً لأنك ساعدتني الآن، لكن بإمكاني الاستمرار لوحدي؟».

- لا أحب أن أتركك وأنت في هذه الحالة.

بدت أوليڤيا فائقة الجمال، رشيقة القوام، شديدة الضعف، وقد أبرز ثوبها الأسود كمال جسمها. مع أن سنوات طويلة مرّت، لكن جايسون يشعر كأنه أخبرها البارحة أنه لن يتزوج منها.

أجابته أوليڤيا بحدة: «لكني لا أريدك هنا، جايسون. لا أعرف كيف أوضح الأمر أكثر. لا أريد شيئاً منك أبداً بعد اليوم».

نظر إليها بسرور غير متوقع وقال: «طبعاً، أنا أفهم ذلك. سأرسل لك أحد أقربائك».

- لا، شكراً. أنا بخير.

وقفت أوليڤيا بتصميم على قدميها قائلة: «أين قبعتي؟».

استدار جايسون وناولها قبعتها الأنيقة ذات الحافة الكبيرة المقلوبة عند

الأطراف: «تفضلي».

وضعت أوليفيا قبعتها على رأسها، ونظرت إليه بعبوس قائلة: «هل هي مستقيمة؟ لا توجد مرآة هنا».

- إنها جيدة. هل أنت أكيدة أنك بخير؟

أجابته بابتسامة مريرة: «يجب أن أكون بخير، فالآتي أعظم».

وكان ذلك صحيحاً. لكنها لم تدرك سوء ما يواجهها إلى أن همّ جيلبرت سيمونز، وهو محامي هاري، بمغادرة المنزل. إذ قال لها بوقار: «سأعود غداً لقراءة وصية هاري، إذا ناسبك ذلك. هل تناسبك الساعة الثانية؟».

صافحته قائلة: «الساعة الثانية مناسبة يا جيلبرت».

- أنت المستفيدة الأساسية كما تعلمين، طبعاً. لكن هناك ورثة آخرون.

- طبعاً، أتوقع ذلك، فقد كان هاري رجلاً كريماً جداً. هناك أيضاً العائلة، والإحسان، ولا شك أنه ترك شيئاً لغرايس.

نظر جيلبرت سيمونز بعيداً للحظة، ثم قال: «أعلم أن ما سأقوله سوف يفاجئك يا أوليفيا، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما حدث بينك وبين جايسون كوري، لكن جايسون هو أحد المستفيدين، واسمه مذكور في وصية هاري».

- جايسون؟

ألن تتوقف الصدمات في حياتها؟ إن جايسون لا يستحق شيئاً.. كان على هاري أن يدفع له بسخاء فقط. لكن، ربما أورث جايسون مجموعة مضارب الغولف أو شيئاً من هذا القبيل، أو ربما تلك السيارة ذات الدفع الرباعي التي يستعملها. انتظرت أوليفيا تعليقاً آخر من المحامي لكنه لم يقل شيئاً سوى: «أراك غداً أوليفيا. هل ستبلغين جايسون؟».

- لا يمكنني القيام بشيء آخر.

لاحظ المحامي مدى انزعاجها، فابتسم بتعاطف وقال لها: «إنها مشيئة

هاري، يا عزيزتي».

* * *

اجتازت أوليفيا آخر منحنى في الطريق ووصلت إلى منزل آل كوري الذي لم يعد ذلك المنزل المتواضع الذي تذكره، بل أصبح ساحراً. لاحظت أن تحسينات كبيرة قد أدخلت على البيت والأرض المحيطة به. هناك سور جديد مطلي باللون الأبيض اللماع، شكل تناقضاً جميلاً مع الخضرة الزمردية للعشب المقصوص حديثاً. أمّا المنزل فطُلي باللون الأخضر الهادىء، الذي ناسب لون السقف الحديدي المتموّج. وأصبحت السقيفة الآن محاطة بسور خشبي أبيض مناسب للباب الأمامي والنوافذ. كما أكملت المفروشات البيضاء الموضوعة على الشرفة صورة المنزل الريفي الساحر المضياف. بدت الحديقة رائعة بأزهارها البيضاء والصفراء، وقد وضعت عند مدخلها بوابة علّقت عليها لافتة خشبية مطلية باللون الأبيض، كتب عليها: «كوخ آل كوري».

كانت سيارة مزرعة هاڤيلا، ذات الدفع الرباعي، مركونة على الطريق المفروشة بالحصى.

قفز قلب أوليفيا إلى حنجرتها، فأطفأت محرك سيارة هاري الكبيرة، وبقيت جالسة تفكر ماذا ستفعل بعد ذلك. لماذا جاءت؟ كان بإمكانها أن تتصل به هاتفياً. فكّرت في سرها قائلة: «لا يمكنني القيام بذلك».

الآنسة لينفيلد الهادئة المتماسكة، التي تتعامل مع أصعب التلميذات المراهقات مراساً، بقيت في مكانها مترددة جداً يلفها الألم...

- كم أنا حمقاء!

هذا ما قالته لنفسها. لقد استمر جايسون في حياته الطبيعية لأنها سلخت نفسها كلياً بعيداً عنه. اعترفت لنفسها أنها ما زالت تحبه وتمقته في الوقت نفسه. وها قد أصبحت حالتها مثيرة للشفقة ولا يمكنها فعل شيء حيال ذلك، إذ تتعطل إرادتها عندما يتعلق الأمر بجايسون كوري.

حسم جايسون الموقف بنفسه بخروجه إلى الباب الأمامي. كان يرتدي

www.elromancia.com

قميصاً ملطخاً بالطلاء، مع بنطلون قصير ذي لون أزرق داكن. للحظة، فكرت أوليفيا أن تنزلق في مقعدها لتخبيء نفسها كي لا يراها. كم هذا سخيف! إنها لم تتعلم شيئاً عن نفسها، وربما لن تفعل مطلقاً. وقد لا تتمكن من تكوين حياة خاصة بها دون وجود جايسون كوري فيها بشكل من الأشكال.

توجه جايسون نحوها مباشرة، ولم يعد أمامها مناص سوى الخروج من السيارة، وإلاّ بدت أمامه كالحمقاء.

- مرحباً يا أوليفيا.

ناداها وهو يقترب منها. ثم أضاف: «هل تريدين شيئاً؟».

جاء صوتها طبيعياً بعد أن تمكنت من السيطرة على نفسها، فقالت: «كان بإمكاني الاتصال بك، لكني أردت الخروج من المنزل لبعض الوقت. سيأتي جيلبرت سيمونز الساعة الثانية من بعد ظهر هذا اليوم، ليقرأ وصية هاري. ويبدو أنك أحد المستفيدين منها، لذلك يريد منك جيلبرت الحضور».

شعرت بالسرور لأنها وضعت نظارتيها الشمسيتين اللتين أخفتا عينيها، فيما راح قلبها يدوي كالطبل في أذنيها.

حدّق جايسون إليها بقسوة، وبشيء من الغرور، وقال: «لا أعلم شيئاً عن كوني مستفيداً من الوصية».

أجابته بحدة قائلة: «مهما يكن، أنت كذلك. يبدو أن هاري كان مولعاً بك».

تراقصت شعلة نارية في عينيه الزرقاوين وحذرها قائلاً: «لا تثيري غضبي، أوليفيا. لقد أنهيت خدمتي، وأنا رجل حر الآن».

- آه! حسناً. لقد نلنا كفايتنا من الحظ السيء، أنت وأنا.

علقت أوليفيا مازحة بسخرية ثم أضافت: «يجب أن أذهب».

استدارت مبتعدة وقد شعرت أن رؤيته تقودها إلى الجنون. فجسمه الأسمر القوي يلمع بحبيبات العرق، وللحظة مجنونة أرادت أن تقترب منه

و...

لم يستطع أي رجل آخر أن يؤثر عليها مثل هذا التأثير إلاّ جايسون... سألته بصوت متقطع: «أين تالي؟».

- هل تالي هي الوحيدة من آل كوري التي تحبينها؟

بدت التسلية على تعابير وجهه، فأجابته: «لقد فقدت حبي لك منذ وقت طويل وأصبحت حرة، جايسون. حرّة منك».

- جيد. هل تريدين الدخول؟

- ولماذا أدخل؟

وقفت أمامه مباشرة. وعلى الفور، شعرت أنها ارتكبت خطأً كبيراً لأن طوله غير العادي جعلها تشعر بصغرها وضعفها. بدا صدره الأسمر عامراً بالعضلات، أمّا حنجرته وخط فكه فمنحوتين على يد نحات عظيم. كما بدا أنفه مستقيماً بشكل رائع، وفمه مقوساً، وشعره أحمر داكناً وعيناه زرقاوين صافيتين. هذا هو جايسون كوري! رجل مليء بالتحدي والمواجهة.

- النساء مخلوقات فضولية.

قال جايسون هذا وعيناه توضحان أنه مدرك تماماً لمشاعرها المتناقضة نحوه. ثم أكمل كلامه قائلاً: «ما الذي أتى بك إلى هنا، أوليفيا؟ أخبريني بصراحة».

والتقت نظراتهما...

فجأة، عادت أوليفيا إلى حذرها وقالت: «لم آتِ لأراك، جايسون. عليك أن تبتعد».

ابتسم جايسون وقال بتلقائية ساخرة: «لمَ لا تدخلين؟ إني أعيد طلاء غرفة تالي، وهي عند جدتها، لأن رائحة الطلاء تبقى طويلاً حتى لو فتحنا النوافذ، ما قد يسبب الزكام لتالي ويضايقها».

- هل لديها أصدقاء في مثل سنها؟

حاولت أوليفيا بسؤالها أن تبدد التوتر الذي ومض بينهما.

- هل المعلمة المتزمتة تتحدث الآن؟

www.elromancia.com

ابتسم جايسون بتكشيرة عريضة وأضاف: «يبدو أن تالي تفضل صحبة الكبار. إنها طفلة مسلية، وتصرفاتها تفوق عمرها. هل تساعدينني في اختيار لون الحافة المناسب؟».

- أنا متأكدة أنك تستطيع القيام باختيار لون مناسب بنفسك.

كانت على وشك أن تخبره كم أحبّت التحسينات التي أجراها على المنزل، لكنها تذكرت خيانته التي ستبقيها متألمة إلى الأبد...

- النساء أكثر براعة في ذلك.

جالت عيناه عليها ببطء.. كانت ترتدي ثوباً صيفياً رقيقاً أزرق اللون مطبعاً بالزهور، وصندالاً أزرق ذا كعبين منخفضين، وقد رفعت شعرها الحريري الكثيف إلى الأعلى بسبب الحر، فيما انفلتت خصلة رقيقة منه لتنسدل بجانب خدها. بدت مشرقة وجذابة جداً في الوقت ذاته.

- أمضيت عشر دقائق محاولاً الاختيار بين اللونين الزهري والبرتقالي ولم أستطع الاختيار. ثم إن الطقس حار عليك لتقفي في الشمس.

- لطف منك أن تقلق علي.

داعبت ابتسامة ساخرة شفتيها. وأضافت: «أنت مثل العنكبوت التي طلبت من الذبابة أن تدخل إلى بيتها كي تستريح. هل تحاول أن تخترق خطوط دفاعي يا جايسون؟».

أدركت أوليفيا أنها لو قامت بخطوة خاطئة واحدة فسوت تفضح مشاعرها أمامه، أضافت قائلة: «لا تضيع وقتك في المحاولة».

واستدارت متعمدة نحو السيارة وهي تتابع قائلة: «لن نصبح أصدقاء ثانية».

- إذاً عليّ أن اعتاد على الأمر، أليس كذلك؟

سبقها جايسون بخطواته الطويلة إلى السيارة، وفتح لها الباب منتظراً كي تجلس وراء المقود. وقف بجانبها كالبرج العالي مهدداً سلامة عقلها.. وجسمها... ملأت رائحته الرجولية المميزة أنفها، فتذكرت أنه كان في الماضي حلم حياتها. وشعرت بالخوف عندما أيقنت أنها ما زالت تحبه. كم

هذا فظيع ومذل! كرهت أوليفيا كل لحظة من تلك اللحظات... لا شك أنه يعرف..

جلست أوليفيا وجايسون في المكتبة يراقبان المحامي جيلبرت سيمونز وهو يخرج من حقيبته الوثيقة التي هي آخر وصية لهاري. وجدت أوليفيا حركاته بطيئة جداً مقارنة مع أعصابها الثائرة.

وأخيراً، بدأ يقرأ الوصية بوجه وقور وصوت جاد: «هذه آخر وصية لي، أنا هارولد بنديكت لينفيلد، الأعزب ومالك مزرعة هافيلا للسكر في مقاطعة لينفيلد في محافظة كوينزلاند...».

ماذا بعد؟ تساءلت أوليفيا وهي تحدق باهتمام شديد بالمحامي، فيما لم تنظر باتجاه جايسون أبداً. أما هو فجلس على كرسي جلدي مواجهاً للمكتب الفيكتوري الطراز. انساب صوت المحامي إلى أذنيها وقد بدأ يقرأ مواضيع هي غاية في الأهمية بالنسبة إليها.

كما توقعت، آلت معظم ممتلكات هاري وعقاراته إليها، كما أورث هاري أفراد عائلته البعيدين عدداً من الهدايا القيمة، كذلك أوصى بهبات إلى الجمعيات الخيرية، وبميراث محترم لغرايس يخولها التقاعد برخاء في أي وقت تختاره.

أخيراً، جاءت القنبلة قوية جداً، وكافية لتهدم المنزل فوق رأسها.. هاري! هاري! كيف تفعل هذا بي؟ ألا تدرك الفوضى التي ستسببها لي؟ أصغت أوليفيا وهي لا تصدق أذنيها، غير مدركة أن جايسون يراقبها ويلاحظ ردة فعلها.

لقد أوصى هاري لجايسون الذي خانها بمبلغ كبير من المال ليتصرف به، نصف مليون.. لكن الخبر الأسوأ الذي دفعها إلى هز رأسها استنكاراً، هو أن هاري أعرب عن أمنيته بأن يبقى جايسون كوري في هافيلا كمدير تنفيذي ومراقب لعمليات لينفيلد كلها.

لم تصدق أوليفيا ما سمعت، وطلبت من جيلبرت سيمونز أن يعيد قراءته.

التفت جايسون إليها، والبريق في عينيه الزرقاوين، وقال: «لم أتوقع هذا. مثلك تماماً».

- لا! لكني أراهن أنه أعجبك.

أعاد جيلبرت سيمونز قراءة الفقرة وهو مدرك لانفعالات أوليفيا وجايسون. فكر المحامي في سره قائلاً إن هاري لينفيلد ليس غبياً، إذ يملك جايسون كوري دماغاً عملياً من الطراز الأول.

في النهاية، كان هناك شرط جعل أوليفيا تغلي من الغضب. ماذا ظنها هاري؟ طفلة؟ وهل جايسون راشد حكيم؟ وانتابها شعور سيء. آه هاري! سيبقى جايسون في هافيلا لبعض الوقت، من ثمانية عشر شهراً إلى سنتين على الأقل قبل أن تستلم أوليفيا زمام الأمور.

شعرت برأسها يدور، لكنها تمتمت أخيراً بعد أن سيطرت على أعصابها: «هاري، هاري العزيز قد استبعدني.. هل تتوقعان مني أن أفرح؟ الآن عليّ أن أغني لجايسون كوري الرهيب. هذا رائع!».

- أبداً، أبداً.

قال جيلبرت سيمونز ذلك محاولاً تهدئتها، لكنها تجاهلته، استدارت في كرسيها وثبّتت جايسون بعينيها اللامعتين كالكريستال، وقالت: «إنها فعلتك، يا جايسون! لقد تلاعبت بهاري كمحتال محترف».

أسند جايسون ظهره إلى الكرسي الجلدي قائلاً: «محتال؟ هذا كثير. ألست ممتنّة لهاري ولو قليلاً بسبب الثروة التي تركها لك؟ إنها تمتد من هنا حتى تازمينيا».

أجابته أوليفيا بحدة: «أنا على استعداد للتخلي عنها كلها شرط أن أراك بعيداً عن هذا المكان».

علّق جايسون ببطء: «هذا تصرف غير لطيف».

رمقت أوليفيا المحامي بنظرة نارية، وهي تعلم أن تصرفه اللبق لا ينفي واقع أنه خيّب آمالها. سألته بتحدٍ: «أنا لست مرغمة على التقيد برغبات هاري. أليس كذلك؟».

أطلق جيلبرت سيمونز تنهيدة عميقة وأجابها: «لا، أوليفيا. إن القانون لا يجبرك على تنفيذ رغبات عمك الكبير».

تدخل جايسون قائلاً: «كيف تشعرين الآن ليف؟ بإمكانك طردي فوراً».

- هذا ما أوشك على فعله.

تدخل جيلبرت سيمونز بسرعة قائلاً: «أنا متأكد أنك لن تفعلي. أنتِ ذكية جداً، أوليفيا. أراد عمك بذلك أن يقول لك شيئاً، وأظن أن عليك سماعه؛ أنجز جايسون أعمالاً رائعة، وساعد هاري في إدارة أعماله. تناولت الغداء مع هاري عدّة مرات في الماضي وكان يمتدح عمل جايسون. كما أن أهل المنطقة جميعاً يعلمون أن جايسون تعلّم أسرار العمل بسرعة، وهذا ليس مفاجئاً لأنه شاب استثنائي».

تأوهت أوليفيا بامتعاض وردّت قائلة: «أرجوك، إنه ليس على لائحة أصدقائي».

أجاب المحامي بنبرة مقنعة: «سيكون ذلك لمدة قصيرة على أي حال، من ثمانية عشر شهراً إلى سنتين. ستكونين غبية. أوليفيا إذا حرمت نفسك ولينفيلد من الأعمال المحترمة التي يؤديها جايسون».

تقاذفت أوليفيا أمواج من المشاعر المتناقضة، فسألت المحامي بهدوء: «هل نسيت قصتنا، جيلبرت؟ لقد نبذني جايسون عشية زفافنا، كما تعلم أنت وكل أهل المنطقة».

نصحها جايسون باقتضاب: «انتقلي إلى موضوع آخر، أوليفيا».

- سأنقلك أنت من هنا. أعدك بذلك.

وقفت أوليفيا على قدميها، فنظر إليها جيلبرت سيمونز بمزيج من التعاطف والدبلوماسية الماهرة وقال: «لديك خيار يا أوليفيا. جدي شخصاً آخر ليعتني بأعمال هاري الكثيرة أو نفذي وصيته. أريدك أن تفكري ملياً قبل اتخاذ أي قرار».

- هل سمعت هذا، أوليفيا؟ فكري ملياً.

وقف جايسون، ومشى نحو باب المكتبة المزدوج ثم تابع: «أعدك أني سأبقى بعيداً عن طريقك».

- طبعاً ستفعل.

أجابته أوليڤيا بحدة، ثم أضافت: «لدي الذكاء الكافي لأدير العملية اللعينة بأكملها وحدي. يا للرجال!».

- تباً! لن ندخل الآن في جدال حول تنافس المرأة والرجل. أليس كذلك؟

- أنا ذكية مثلك تماماً، وأفكر بصورة منطقية أكثر منك.

أجابته أوليڤيا بذلك باحتقار، ثم تابعت قائلة: «لطالما أحببت هاري، لكنه اقترف خطأ جسيماً. هاري، من بين كل الناس..! أما من أحد أستطيع الوثوق به؟».

تدخل جيلبرت سيمونز بصفته محامٍ، وقال: «آمل أنك تثقين بي، يا عزيزتي».

قال جايسون: «لمَ لا تهدأين يا ليف؟ ترك لك هاري كل شيء، وكل ما يطلبه منك هو أن تتعلمي أسرار المهنة كما فعلت أنا من قبل. أنتِ ذكية، وكلنا نعلم ذلك، كما أنك منطقية أكثر من الجميع. لكنك لا تستطيعين القيام بالعمل الذي أقوم به أنا الآن، لأنك تحتاجين إلى بعض الوقت. ثم.. ماذا عن وظيفتك؟ هل فكرت في طريقة تسمح لك بتولي الأمور كلها؟».

صرّت أوليڤيا أسنانها وقالت: «ظننتك بعيداً عن هنا».

- يمكنني الاستقالة الآن، ليف، فأنا غني ومعي نصف مليون. شكراً لك، هاري!.

نظر جايسون إلى السقف وأرسل تحية، ثم أكمل: «لكن هاري عهد إليّ بزمام الأمور، وإذا كنتِ لا تريدين تنفيذ وصيته، فأنا أريد ذلك».

عبر جايسون باب المكتبة إلى الخارج، لكن أوليڤيا لحقت به. يا له من مخادع كبير! إنه يتصرف بحرية في منزلها، وهي التي اعتادت على تلقي

الاحترام. وصلت إليه وأمسكت ذراعه بشدة بحيث انغرزت أظافرها الطويلة في ذراعه لكنها لم تبالِ بذلك، بل هددته قائلة: «لن ينفع الأمر، جايسون. لن ينفع أبداً».

استدار جايسون بطوله الفارع، ورشاقته، وقوته التي لم تتحملها أوليڤيا، وحدّق إليها بعينين زرقاوين تطلقان شرارات نارية، ثم قال بنبرة ساخرة وقاسية: «ما الذي تخشين حدوثه ليف؟ هذا؟ هل هذا ما تخافين منه؟».

بدأ قلبها يضرب بعنف حين جذبها إلى ذراعيه بطريقة متملكة جعلتها تلتصق به. أخذت أذناها تدويان حين عانقها عناقاً حاراً... عنيفاً... متهوراً... ثائراً، هزّ كيانها من الداخل. اندفع الأدرينالين في دمها حيث دفعها إلى التخلي عن مقاومته وملأها بالشوق. ذلك الشوق الذي صممت من قبل ألاّ تدعه يعرف عنه شيئاً..

عندما تركها جايسون، تأرجحت على قدميها وهي ممزقة بين شعورها بالصدمة من جهة وباللهفة العميقة التي آلمت كبرياءها من جهة أخرى.

أحمرّت وجنتاها لشدة شعورها بالذنب، وقالت لاهثة وهي ترتجف: «كيف تجرؤ؟ يا لوقاحتك! كيف تجرؤ على معاملتي وكأني سلعة؟ أيها الدنيء».

وقبل أن تتمالك نفسها، رفعت يدها لتصفعه كما فعلت مرة في الماضي. لكن جايسون كان مستعداً لها، فأمسك معصمها، وقال متهكماً: «لقد أيقظك هذا العناق، أليس كذلك؟ أوليڤيا الجميلة! ملكة الثلج. لقد خطفت أنفاسك بعناقي، أليس كذلك؟».

نفضت أوليڤيا يدها بعيداً، ومرّرتها على وجهها باشمئزاز قائلة: «أنت كريه!».

- حسناً! يمكنني تكرار الأمر بطريقة أفضل.

وأنارت وجهه ابتسامة مفاجئة. إنها إحدى ابتساماته التي كانت تتلهف إليها في الماضي.

بدا موقفها مأساوياً ومضحكاً في الوقت نفسه. وظهر اضطرابها بوضوح عندما أشارت نحو الباب بيد مرتجفة.

- أخرج من هنا، جايسون. لقد أريتني ما أنت قادر على فعله. أنا لا أكرهك أنت فقط، بل بدأت أكره نفسي أيضاً.

٥ - زيارة وقرار

لم تفعل أوليڤيا شيئاً في الأيام التي تلت تلك المواجهة، بل بقيت في المنزل هادئة، تحاول السيطرة على حزنها وصدمتها الناتجين عن قرارات هاري التي عليها تحملها. لم تحاول القيام بجولة حول المزرعة، إذ كانت متأكدة أن جايسون يتولى إدارة هاڤيلا. قررت أن تدعه يفعل ذلك دون أن تتدخل، بانتظار فرصة مؤاتية تسمح لها باتخاذ قرارات مصيرية. لكن هذه القرارات، لم يحن وقتها بعد.

ظلّت تفكر بعناق جايسون.. ذلك العناق برهن لها أن جايسون ما زال متغلغلاً في كيانها. عليها أن تبقى مسيطرة على أحاسيسها فلا تعود إلى التعلق به من جديد. قررت أن تحبس نفسها في مكتب هاري، للاطلاع على سير أعمال المزرعة. فهي ذكية جداً، وقد ترك لها هاري ثروة هائلة. ويعود الأمر إليها كي تقرر ما هي أفضل الوسائل لتحسين سير الأعمال.

تخيلت أنها تسمع صوت هاري في أذنيها، يقول: «إنه قراري يا ليف، وأنت تعلمين ما هو الصواب».

بالطبع يجب أن تميز بين الخطأ والصواب، لا سيّما أنها تعلمت ذلك من هاري مذ كان عمرها عشر سنوات. حدثها هاري عن كل شيء في المزرعة وشرح لها كل شيء، مفسراً لها سبب قيامه بخياراته. كما شجعها على المشاركة في معظم أعمال لينفيلد.

قادت تجربات أوليڤيا إلى استنتاج أكيد، وهو أن جايسون أقنع هاري بتوسيع آفاق أعماله نحو مجالات أخرى. والآن، مات هاري، وترك لها مشكلة كبيرة وهي وجود جايسون في شركة أوريون لأعمال التنقيب. لقد

www.elromancia.com

اعتمد عليه هاري في كل شيء، لا سيّما في السنة الأخيرة حيث تسلم جايسون زمام الأمور كلها. لا عجب أنه يتردد الآن في التخلي عن مركز القوة. لكن مع ذلك، قررت إجراء تعديلات صغيرة في هاڤيلا.

سارت حياة أوليڤيا بصورة رتيبة. فراحت تستيقظ عند الساعة السابعة صباحاً، تسبح في مياه البركة الجميلة، ثم تأخذ حماماً وتلبس ثيابها، بعدئذٍ تقرأ الصحف ثم تتناول إفطارها على الشرفة الخارجية تحت المظلة البيضاء الكبيرة، حيث يمر الوقت وهي تتحدث إلى غرايسي خلال ذهابها وإيابها.

تلقت غرايسي نبأ إرثها من هاري بامتنان كبير وفيض من الدموع. أمّا أوليڤيا فأعربت عن ترحيبها ببقاء غرايس في هاڤيلا إلى الأبد، إذ لم تكن غرايس موظفة مؤتمنة فقط بل أكثر من ذلك. إنها مربيتها منذ الطفولة، كما أنها صديقتها أيضاً.

لم تستطع أوليڤيا منع نفسها من قضاء معظم وقتها في مكتب هاري؛ فما قاله جايسون صحيح تماماً، إذ لا يمكنها مباشرة العمل فوراً. هناك الكثير لتتعلمه قبل ذلك.

مع بداية الأسبوع التالي، رأت أن الوقت حان لتقوم بجولة حول المزرعة. قررت القيام بتلك الجولة على ظهر الجواد. تذكرت أن هاري أحب اقتناء الأحصنة الجيدة في إسطبله من أجل الرياضة والتنزه. ولكم استمتعت في ما مضى بالنزهات الرائعة حول المنطقة على ظهر تلك الأحصنة.

وجدت أوليڤيا عدداً من الخيول في الأسطبل، رأت الفرس المخلصة كاساندرا، وحصاناً مخصياً لم تعرفه، وفرساً سريعة كستنائية اللون اسمها براندي، ومهراً لعوباً ذا لون بني لامع سرعان ما مدّ أنفه الحريري لتربت عليه.

- مرحباً يا صديقي.

أحضرت أوليڤيا معها ملابس ركوب الخيل المؤلفة من البنطلون والحذاء وبعض القمصان القطنية ذات الأكمام الطويلة لحماية بشرة

ذراعيها. بعد أن امتطت صهوة جوادها، أصبحت جاهزة للقيام بنزهتها.

إن شمال كوينزلاند المداري منطقة رائعة بخلجانها المسيّجة بأشجار البلح، ومياهها الفيروزية، ورمالها البيضاء، ومناظرها الشاعرية، وغاباتها الخلاّبة. فالطبيعة هنا تطغى على كل ما عداها، حيث تنمو النباتات بسرعة في التربة البركانية الحمراء الخصبة، وتبقى السماء زرقاء صافية.

إن تلك المناطق النائية فريدة بمساحاتها الشاسعة وعظمتها الطبيعية. إنها مكان ساحر لا مثيل له! بالنسبة لأوليڤيا، كل إغراءات المدينة لا تساوي شيئاً مقارنة بالشمال المداري، بما في ذلك وسط المدن التي تضج بالحياة.

حلقت فوق رأسها ببغاوات رائعة، فتذكرت أنها سمعت في الليلة الفائتة صوت الخفافيش وهي تضرب بجوانحها في الحديقة وتأكل من الثمار الوفيرة. لا شيء يستطيع إيقاف هذه الطيور عند حدها، ولا فائدة من المحاولة. تكاثرت تلك الطيور بدرجة كبيرة، بحيث فشلت كل المحاولات لمكافحتها، حتى إن القوات الجوية فشلت في إخافتها. وها قد فازت الطيور أخيراً وملكت المكان.

بدت السماء زرقاء صافية والنهار جميلاً جداً، ما جعل أوليڤيا تنسى همومها. على بعد ميل تقريباً وجدت ضالتها، وهو بستان كبير من الفواكه المدارية المتنوعة أنشأه جايسون. أثار ذلك انتباهها وإعجابها في آن واحد، إذ أدركت أن هاڤيلا باتت مزدهرة أكثر مما كانت عليه في السابق. ذلك أن كل شبر من أرض هاري الكبيرة قد تم استغلاله بشكل حكيم.

هذه الأملاك كلها لها! إنه غنى فاحش ومسؤولية كبيرة. عليها أن تتعلم إدارة مكان كهذا أو توكل مديراً لتعود إلى مهنتها.

في تلك اللحظة، أدركت أوليڤيا ما الذي عليها أن تفعله؛ إن هاڤيلا بيتها، وها هي قد وجدت نفسها في أجمل بقعة من بقاع الأرض، محاطة بجمال طبيعي يمجد الخالق.

www.elromancia.com

سارت في ممرات ذات تربة حمراء، بين شجيرات جميلة تحمل فاكهة حمراء صغيرة لم تعرف أوليفيا اسمها، لكنها أغرتها بقطفها، لا سيّما أن تلك الشجيرات المزينة بكريات حمراء ذكرتها بقرب عيد الميلاد. تسربت إلى أنفها روائح فواكه وأزهار متنوعة، بينما توقف المهر في نهاية الطريق.

ذكرت أوليفيا نفسها بأن عليها أن تجد مكاناً ظليلاً ترتاح فيه، بعد أن شعرت بالعرق يتصبّب منها كالينبوع. إلاّ أنها، من جهة أخرى، شعرت أن نزهتها قد أراحتها من مشاكلها الصعبة.

خارج بستان الفاكهة رأت أرضاً مليئة بالأشجار البرية ولم تعلم إذا ما كانت الأرض ضمن ممتلكات هاري أم لا. توجهت بالحصان نحوها، وما لبثت أن تفاجأت بخروج جايسون من بين مجموعة أشجار محلية، إلا أنه لم يكن وحده. كان ممسكاً بيد ابنته الصغيرة تالي التي بدت كأنها ترقص بجانبه، وضفائر شعرها الأسود اللماع متوجة بإكليل من النباتات الخضراء المتعرشة، يتخلله عدد من الأزهار الصغيرة البيضاء منثورة عليه كأنها النجوم.

حاولت أوليفيا أن تجد المبررات لنفسها، لكنها علمت في أعماقها أن هذا اللقاء ليس مجرد صدفة. هناك حقيقة مخيفة ألا وهي أن الجزء الضعيف من شخصيتها أراد رؤية جايسون. ليس عليها سوى أن تنظر إليه فقط، كي يعود ويبقى تحت ناظريها.

نادتها الطفلة بحماسة: «مرحباً ليفي، مرحباً!».

- مرحباً تالي!

استقامت أوليفيا في جلستها على ظهر حصانها ملوحة لتالي، بينما تجاهلت جايسون تماماً حتى عندما وصل مع ابنته إليها. نظر جايسون إليها بعينين زرقاوين ملؤهما التسلية قائلاً: «بدأت أتساءل متى ستقومين بجولتك الاستكشافية».

ومدّ لها يده لتنزل عن المهر قائلاً: «لنحتمِ من الحرارة».

بقيت أوليفيا صامتة، وانزلقت عن حصانها دون مساعدته، فيما

تذكرت أنها اعتادت في الماضي أن تنزلق بين ذراعيه.

قالت تالي بصوت عذب ناعم: «أنا سعيدة لأنكِ جئتِ لرؤيتنا. أنت لن تطلبي منا الرحيل. أليس كذلك ليفي؟».

لم تدرِ بما عليها أن تجيبها. إن آخر شيء تريده هو اقتلاع طفلة من جذورها، لكن ما عساها تفعل؟ احمرت وجنتا أوليفيا، ونظرت إلى جايسون نظرة خاطفة، ثم قالت: «أهذا ما قاله لك والدك؟».

بان القلق على محيّا تالي وقالت: «لا! إنها نونا. قالت إنك ستعملين على إخراجنا من هنا».

- لم أقرر شيئاً بعد، تالي.

قالت أوليفيا ذلك، وما لبثت أن سمعت تنهيدة جايسون التي تنم عن الضيق. هكذا هي ريناتا! لا يمكنها الاحتفاظ بالأسرار مطلقاً.

- يا له من حصان جميل!

قالت الطفلة ذلك وهي تنظر بإعجاب إلى الحصان الذي كان يقطع العشب بأسنانه الكبيرة، ثم أضافت: «ليتني أمتلك حصاناً».

- أنا متأكدة أن والدك يستطيع شراء حصان صغير لك، وتعليمك الركوب.

تذكرت أوليفيا أن جايسون فارس ماهر.

- ومتى يمكنه أن يقوم بذلك؟

سألها جايسون باقتضاب، ثم أضاف: «إن إدارة المزرعة تأخذ وقتي كله».

وجدت أوليفيا نفسها تجيبه رغماً عنها: «هذا ما لاحظته».

قالت تالي شارحة لأوليفيا: «نحن ذاهبان إلى البيت لتناول الغداء، وأحب أن تأتي معنا».

ثم ضحكت ضحكة كشفت عن أسنانها، وأظهرت أنها فقدت إحداها منذ وقت قريب. بدت تالي جميلة مع رشة النمش الذهبي الذي زيّن أنفها، وبقعة الغبار التي لطخت خدها، وتاج الأزهار الذي يكلّل ضفائرها

اللولبية.

– هذا لطف منك، تالي. لكن يجب أن أعود إلى البيت.

ردّت أوليفيا على الطفلة بلطافة، لأنها لم تشأ أن تجرح مشاعرها.

– لن تمانع غرايسي في بقائك.

قالت تالي ذلك، ثم لفّت ذراعها حول والدها وأكملت: «يمكن لوالدي أن يتصل بها عبر هاتفه النقال. أرجوك تعالي!».

ثم تقدمت نحو أوليفيا وأمسكت يدها بقوة، كما يفعل الأطفال عادة، وأضافت: «لم تأتي إلى هنا منذ زمن طويل، وأظن أنني أعرف السبب. ألا تريدين رؤية منزلنا؟».

قالت أوليفيا وهي تتساءل كيف ستتخلص من هذا المأزق: «أعرف المنزل، تالي».

– أعطي الطفلة فرصة.

تكلم جايسون بهدوء ممرّراً يده في شعره الأحمر الداكن الذي زادته الشمس لمعاناً، إلاّ أن أوليفيا استشفت لمحة من التحدي في نبرته. كان جايسون يرتدي ثياب العمل، وهي عبارة عن قميص ذات لون كاكي مع أكمام مرفوعة حتى المرفقين، وبنطلون جينز ضيق، فيما بدت جبهته وعنقه ملتمعان من العرق.

نظرت أوليفيا بعيداً وقالت: «هل هذا ابتزاز؟».

سألتها تالي بتوتر: «ما معنى ابتزاز؟».

– إني أمزح مع أبيك يا عزيزتي.

قالت أوليفيا ذلك وقد ندمت لأنها استخدمت تلك الكلمة أمام الطفلة.

– ألم يكن من المفترض أن تتزوجا أنتِ وأبي منذ سنوات مضت؟ لقد أخبرتني نونا بذلك.

قالت تالي ذلك ناظرة بتمعن إلى أوليفيا التي كانت ترتدي قبعة رائعة. هزّت الطفلة رأسها فتساقطت بضع أزهار صغيرة من إكليلها على الأرض

ثم أضافت: «أنا ونونا نتحدث كثيراً».

علّق جايسون قائلاً من دون أن يبتسم: «نونا مشهورة بمحادثاتها الطويلة، وبعضها قد يؤذي طفلة صغيرة. أنتِ تسألين أوليفيا أسئلة خاصة، في حين أنه من المفترض أن تكوني صديقة مقربة من الشخص قبل أن تسأليه ذلك النوع من الأسئلة».

– حسناً! سأنتظر.

أجابت تالي بذلك بمرح ثم أضافت: «ليس لدي أصدقاء كثيرون، ليفيا. إن أقرب صديق لدي هو داني بينما الأولاد الآخرون في المدرسة مجرد أطفال حمقى. لكني أحب أن أكون صديقتك، ليفيا. أخبرتني نونا أن أبي كان منذ زمن واقعاً بجنون في...».

– إن أباك على وشك أن يقفز من الغضب في هذه اللحظة.

قاطع جايسون كلام تالي بحدة، ثم تابع قائلاً: «يجب إقفال هذا الموضوع، تالي. سأتحدث مع نونا بهذا الشأن».

– أنتِ تعرفين نونا، أليس كذلك ليفيا؟

قالت تالي ذلك ثم أمسكت يد أوليفيا وتابعت: «إنها رائعة. من المفترض أن تكون سيدة عجوزاً، لكنها لا تملك تجعيدة واحدة في وجهها».

أجابتها أوليفيا قائلة: «إن الإيطاليين شعب وسيم. لقد ورث أبوك عنهم بشرته الذهبية».

هزّت تالي رأسها موافقة ثم قالت: «أبي وسيم جداً. وأخت داني الكبرى تعترف أن أبي يخطف أنفاسها بوسامته».

لم تستطع أوليفيا أن تمنع نفسها من النظر إلى جايسون والابتسام له، فسادت لحظة من البهجة والانسجام.

حبس جايسون أنفاسه حين عصف إعصار من التوق الشديد بينهما. ولكي يتمكن من تمالك نفسه، نظر إلى تالي وقال لها بضع كلمات بالإيطالية. وعندما استعاد سيطرته على نفسه، قال لأوليفيا بصوت ثابت: «كما ترين، تتحدث تالي لغتين. إنها ترجوك أن تأتي معنا. هذه

خلاصة ما تقوله لك».

- بإمكانك أن تقودي حصانك الجميل، ليڤيا. أبي وأنا سنسلك طريقاً مختصرة. المكان ليس بعيداً. هيا بنا، إني جائعة!

على الرغم مما أخبرها به جايسون عن عدم التواصل بين ميغان وطفلتها، لاحظت أوليڤيا أن تالي تفتقد أمها بشكل كبير، والدليل هو طريقة تجاوب الطفلة معها. لم يمضِ على تعارفهما وقت طويل، وها هي الطفلة تبدي ارتياحاً لوجود أوليڤيا، وكأنها عرفتها طوال حياتها. من المعروف عن الأطفال أنهم ينسجون الأوهام حول أشخاص معينين في حياتهم، وقد اختبرت أوليڤيا ذلك مع طلابها.

- هذا هو بيتنا.

خرجت تالي راكضة لاستقبال أوليڤيا عندما وصلت. أمسكت بيدها وقادتها بضع درجات صغيرة نحو الشرفة الظليلة بمفروشاتها البيضاء. ثم قالت بحيوية: «تأتي نونا لزيارتنا بين الحين والآخر. لديها غرفتها الخاصة وسريرها. أحياناً تعلق لافتة «ممنوع الإزعاج» على الباب عندما تريد أن تنام. إنها تحب أن تغسل الثياب أيضاً، لكن أبي يقول إنه ليس عليها القيام بذلك. أبي هو من قام بطلاء الجدران هنا. هل تودين رؤية البيت؟».

ابتسمت أوليڤيا للطفلة برقة. ظاهرياً، بدت أوليڤيا لطيفة ودودة لكنها في داخلها شعرت بهزيمة طاغية، كأنما جايسون وطفلته ناورا لإجبارها على الحضور. دخلت برفقة تالي إلى البيت، ولاحظت أن جايسون قد هدم أحد الجدران كي يصبح المطبخ القديم والبهو مساحة واحدة مفتوحة. أذهلتها النتيجة الجميلة التي أحدثها ذلك. الألوان التي رأتها في الخارج تكررت في الداخل أيضاً، بدءً من الأصفر والأبيض وصولاً إلى الأزرق اللازوردي والأخضر.

بدا البيت جذاباً، ومختلفاً جداً عن البيت القديم الذي تذكره...

- إذاً، ماذا سنأكل؟

سأل جايسون بطريقة ساحرة، مراقباً تالي تقود زائرتهما ووجهها

مرفوع وعيناها تلمعان.

- لا تزعج نفسك بشيء من أجلي. إن فنجاناً من القهوة يفي بالغرض... هذا إذا كان لديك قهوة.

عقد جايسون حاجبيه قائلاً: «إذا كان لدي؟ ماذا تقصدين بذلك؟ هل نسيتِ دمي الإيطالي يا ليف؟».

- أقسم أنني لم أنسَ يا جايسون.

أجابته بطريقة حاولت فيها أن تخفي سخريتها. ثم تابعت: «كانت تلك جملة عابرة».

- حضّر لنا سندويشات يا أبي.

استدارت تالي على عقبيها ونظرت إلى أوليڤيا وأكملت: «الدجاج مع الأفوكادو. ستحبين ذلك، ليڤيا. إن أبي يطعمني جيداً، لكن أمي لم تكن تفعل ذلك، بل كانت تنسى. إنها تكره الطبخ، وهي لن تعود إلى المنزل».

شعرت أوليڤيا بطعنة من الأسى، فلمست كتف الصغيرة برقة قائلة: «أنا آسفة، تالي. لا شك أنك تشتاقين لها».

تكوّر فم تالي في تكشيرة عريضة وقالت بشعور عميق: «هذا مستحيل! كانت تضربني بشدة، وتقول إني إزعاج لعين».

قال جايسون: «حسناً! تالي».

وخرج من المطبخ من أجل إسكاتها. نظر إلى ابنته بطريقة جازمة وأضاف قائلاً: «هذا يكفي! لا تريد أوليڤيا أن تعرف ذلك».

ردّت تالي بحيرة: «لكني اعتقدت أنها تريد معرفة ذلك. إن نونا تتكلم وتتكلم. إنها تقول إن أمي سرقت والدي منكِ».

ضغطت تالي على يد أوليڤيا مواسية. شعرت أوليڤيا كما لو أنها تلقت ضربة مباشرة على قلبها، لكن تعابيرها بقيت هادئة.

- طلبت منك أن تسكتي، تالي.

تدخلت أوليڤيا قائلة وهي تنظر نحو الممر: «ألا تريدين أن تريني بقية أرجاء المنزل؟».

لعبت تالي دور المضيفة وقالت: «أنا أتحرق شوقاً لأقوم بذلك، تعالي معي. نونا تقول إن أبي ما زال شاباً جداً لكي يعيش وحده».

تساءل جايسون في قرارة نفسه عمّا يمكن أن تقول تالي لأوليفيا الآن. لقد لاحظ ردة فعل أوليفيا الحنونة عندما أخبرتها تالي بصراحة أنها لا تفتقد أمها أبداً. والمحزن في الأمر أنها كانت تقول الحقيقة، أما أكثر ما آلمه فهو أن تالي ما زالت تتذكر معاملة أمها السيئة لها.

أسرعت تالي وارتمت على سريرها في غرفتها. ثم علقت بحبور وإشراق: «أحب الأشياء التي فعلها والدي لتحسين غرفتي!».

أخذت أوليفيا تنظر إلى الغرفة التي بدت جميلة إنما ليست متكلفة، لاحظت أن جايسون ركز على اللون الأصفر كإطار مناسب للّون الأزرق الناعم الذي طليت به الجدران.

- نونا صنعت الستائر وغطاء السرير.

وأضافت تالي بفخر: «أخبرتني نونا أنها تعلمت الخياطة عندما كانت في الرابعة من عمرها، وكان على أمها أن تسندها كي لا تغفو. لقد عملت في الخياطة طوال حياتها، ووالدي يقول إنها محترفة».

أعجبت أوليفيا بالستائر وغطاء السرير، فالقماش جذاب وألوانه تناسب الغرفة تماماً. عُلقت على الحائط أربع رسومات صغيرة للفاكهة والأزهار، كما كان هناك مكتبة مليئة بقصص للأطفال وسجادة بيضاء على الأرض اللامعة وصندوق أبيض للألعاب بجانب حافة السرير.

صفقت تالي بيديها فجأة وقالت: «أنتِ تعرفين نونا، أليس كذلك؟ كما تعرفين جدتي التي ماتت».

- أعرف كل أفراد عائلتك، تالي.

أجابت أوليفيا بهدوء ثم تابعت قائلة: «آسفة لأنك فقدت جدتك. كان اسمها أنطونيلا وهو اسم جميل. كما أنها كانت سيدة محبوبة».

هزّت تالي رأسها، ثم نظرت إلى أوليفيا بعينيها الزرقاوين الكبيرتين الفضوليتين، وقالت: «أما زلت حزينة، ليفيا؟ لا تجيبيني إذا كنتِ لا

تريدين إخباري».

- بشأن ماذا، تالي؟

سألتها أوليفيا رغم أنها تدرك تماماً ما الذي ترمي الطفلة إليه. أجابتها تالي وهي تنغم عبارتها بطريقة موسيقية: «بشأن أبي».

إنه تأثير ريناتا ثانية.. يبدو أن لا نهاية لأنغام ريناتا الأوبرالية التي تتردد في المنطقة. وكلما كانت المأساة أكبر كلما كانت النغمة الموسيقية أفضل.

- أنتِ تبتسمين. لديك ابتسامة جميلة، لكنك تبدين حزينة أحياناً.

- كنت أفكر بجدتك وكيف كانت تغني دائماً.

- وما زالت كذلك.

ابتسمت تالي، وتابعت قائلة: «تقول جدتي إنها عندما كانت شابة، كانت تغني بشكل جميل مثل ريناتا تيبالدي الشهيرة، والتي سميت على اسمها».

- لا أظن أن نونا حظيت بفرصة في حياتها.

- ولا أنتِ. لم تخبريني... هل ما زلت حزينة من أجل أبي؟

- لا، تالي.

قالت أوليفيا ذلك للطفلة بحزم وهي تهز رأسها. ثم تابعت كلامها: «كان ذلك منذ زمن بعيد. أنا بخير الآن».

- هذا جيد!

أجابتها تالي وهي تقفز نازلة عن السرير ثم أضافت: «لا أريدك أن تكوني حزينة».

عندما عادتا إلى المطبخ، كانت رائحة القهوة الرائعة تملأ الأجواء، لاحظت أوليفيا أنها تنتظر فنجانها بفارغ الصبر. وُضعت ثلاثة صحون من السندويش على الطاولة الخشبية المستديرة مع إناء من الفواكه في الوسط، وكوب طويل من الحليب لتالي.

- هل هناك أسرار أخرى؟

سألهما جايسون بابتسامة ملتوية، فغمزت تالي لأوليفيا وقالت: «لن نخبرك».

- أحقاً؟

ثم أضاف بعبوس: «حسناً! سنرى. هيا أيتها الفتاتان، ابدآ بتناول الطعام. عليّ أن أعود إلى العمل بعد قليل».

سألته أوليفيا: «ماذا عن تالي؟ إنها عطلتها المدرسية».

- تالي تأتي معي أحياناً.

نظر جايسون إلى عيني أوليفيا بطريقة تهكمية ثم تابع: «لكنها تبقى مع نونا في معظم الأحيان. ونونا لديها عادة سيئة حقاً، لا سيّما عندما تملأ أذني تالي بثرثرة غير مناسبة. تبدو الأمور صعبة عندما لا تكون تالي في المدرسة».

ردّت تالي قائلة: «أنا أكره المدرسة. أنا ذكية ولديّ ميل للقيادة، لكن شخصيتي منفتحة. هذا ما كتب في تقريري. سأذهب إلى منزل صديقي داني بعد ظهر اليوم لأننا سنشاهد الفيديو. إنه فيلم شاهدته سابقاً لكني أريد مشاهدته مرة أخرى».

سكتت تالي لبرهة كي تقضم السندويش، ثم أصدرت قراراً: «هذا هو السندويش الذي أحبه. سأحتفظ بواحد كي آكله مع داني».

لم يكد الثلاثة ينهون وجبتهم الخفيفة حتى توقفت سيارة حمراء أمام البوابة. قالت تالي وهي تركض نحو الباب: «إنها ميشال! ستدخل إلى هنا، وهكذا تقابلينها، ليفيا... هي تحب أن ترى أبي... إنّ داني وراءها وسيدخلان معاً... ميشال لطيفة حقاً، وكذلك أمها، فهي تقبلني قبل النوم عندما أنام في منزلهم، تماماً كما تقبل داني. أعتقد أنها تشفق علي».

بدا داني ولداً نحيلاً صغيراً ذا شعر بني وعينين عسليتين كبيرتين. أمّا أخته، فلم يبد عليها أنها تجاوزت السادسة عشرة من العمر. إنها جميلة ورشيقة، تملك الشعر البني نفسه والعينين العسليتين نفسيهما كأخيها تماماً. أسنانها بيضاء، ابتسامتها كبيرة وقد حيّت جايسون بصوت مرتعش. كانت

ترتدي ثوباً صيفياً زهرياً ضيقاً يبرز جسمها الرشيق وأطرافها التي لوحتها الشمس. بدا واضحاً بجلاء أن ميشال تشعر بالانجذاب إلى جايسون الذي يمكنه أن يلفت نظر أي امرأة. هذا ما لاحظته أوليفيا مع لسعة من المرارة لم تستطع التخلص منها.

تمّ التعارف بينهما، فنظرت ميشال إليها وكأنها أتت من كوكب آخر. حياها داني باقتضاب ثم خرج راكضاً من الباب ثانية. تذكرت أوليفيا عائلة الولدين، كما تذكرت ميشال عندما كانت صغيرة وكانت تبدو مثل داني اليوم.

قالت تالي: «لا أحب أن أتركك..»

- اذهبي واستمتعي.

أجابتها أوليفيا بابتسامة حازمة، فنظرت إليها تالي بقلق وقالت: «هل سأراك مرة أخرى؟

- طبعاً!

كافأتها تالي بعناق كبير. بعدئذٍ رافق جايسون الأولاد إلى السيارة بينما سارت ميشال بجانبه بسرعة، وهي غارقة دون شك في عينيه الزرقاوين. فجايسون كوري ما زال يستطيع لعب دور أمير الأحلام حتى بالنسبة لفتاة في السادسة عشرة من عمرها.

- اللعنة!

تنفس جايسون الصعداء عندما عاد إلى غرفة الجلوس.

- آه يا عزيزي! هل اكتشفت أن ميشال مفتونة بك؟

نظر إليها جايسون مباشرة وقد جعل اسمرار بشرته عينيه الزرقاوين تبدوان أكثر عمقاً عمّا تبدوان عادة.

- لا تجعلي الأمر يبدو كأنه خطأ مني. إنها مجرد طفلة.

- أذكر تماماً أنك كنت تعانقني كثيراً عندما كنت في مثل سنها. كان هذا قبل أن تدمر حياتي، يومها كنت مجنونة بحبك.

كوّر جايسون فمه بطريقة مغرية وعلّق قائلاً: «هذا مثير للاهتمام...

www.elromancia.com

كنتِ؟».

- إلى أن علقتَ في شباك ميغان.

- تجربتي مع الجحيم!

قال جايسون هذا بنبرة ملؤها الكآبة.

- هل كان الأمر جحيماً حقاً؟

حملت أوليفيا قبعتها البيضاء، ووضعتها على رأسها ثم أضافت: «أنت تستحق ذلك».

تجاوزته وكل عصب في جسدها يرتعش، ثم قالت: «شكراً لك على القهوة والسندويشات. والآن يجب أن أذهب».

- أنا أيضاً، لديّ عمل كثير بعد الظهر.

قال جايسون ذلك وهو يسير وراءها إلى الشرفة. ثم تابع: «لقد عملت كثيراً في السنتين الماضيتين، أوليفيا».

- لا شك أن هاري دفع لك أجراً كبيراً!

- أنتِ شريرة جداً.

تراقصت في عيني جايسون شرارات زرقاء، فأجابته أوليفيا بحدة: «لم أكن شريرة في الماضي. كما أني لم أعلم أنك في هاڤيلا، جايسون، لأن هاري أخفى الأمر عني. إني أعتبر الأمر خيانة».

شملها جايسون بنظراته ثم قال: «أحقاً؟ إذاً فكري في الضغط الذي عاناه هاري لأنه عاش تلك الكذبة. لقد أحبك كثيراً ولم يشأ أن يسبب لك الحزن، وأنتِ لم تعودي إلى المنزل. هل تعلمين كم اشتاق إليك؟ كان يزورك ليراك».

انفجرت أوليفيا قائلة بغضب: «لم يكن عليه توظيفك عنده. عليك أن تتحمل مسؤولية أعمالك يا جايسون».

- ظننت أنني فعلت ذلك. إذ ليس من السهل تربية طفل من دون أم. كل طفل يحتاج إلى أم، بحق الله!

- حتى لو كانت ميغان أماً سيئة، من المؤكد أنها احتاجت للمساعدة

وربما لاستشارة أخصائي.

- لا أعتقد أن كل استشارات العالم تستطيع أن تغير ميغان، فهي لم تولد لتكون أماً يا أوليفيا.

- كان عليك ملاحظة ذلك في وقت أبكر.

- أنتِ لا تسامحين بسهولة، أليس كذلك؟

وعندما امتد الصمت بينهما طويلاً، قال: «حسناً! أتفهم ذلك. هل أتخذتِ أي قرار؟ يجب أن أعرف كيف أضع مخططاتي».

- ليس من السهل تحدي رغبات هاري يا جايسون!

فجأة، علا الاحمرار خديها، وعرفت أوليفيا السبب إذ إن الحرارة والاضطراب والتوتر تتجمع لديها حين تكون برفقة جايسون.

- أخبريني عن شيء لا أعرفه. لست جيداً في المشاحنة، ليف، ولم أكن كذلك يوماً. إذا أردتني أن أرحل فسوف أرحل.

- طبعاً أريدك أن ترحل.

خرجت الكلمات من فمها حادة، ثم تابعت قائلة: «لا أريد أن أراك أو أسمع صوتك. فقط غيابك يشفي قلبي».

- ألا تعتقدين أنني تعذبت بما فيه الكفاية؟

أصبحت عيناه الزرقاوان رهيبتين لدرجة أنها خشيت النظر إليهما، وبدلاً من ذلك تنشقت عبير الحديقة ما جعلها تشعر ببعض الارتياح.

- أعرف أنني أتصرف بقساوة، لكن لا يمكنني تغيير ذلك. لم يكن خصامنا عادياً يا جايسون كي نتصالح بسهولة. لقد انهارت حياتي.

- تتكلمين وكأن ذلك لم يحدث معي، وكأنني لم أتألم بألف طريقة. أنظري إليّ يا أوليفيا قبل أن تبدأي برمي خناجرك عليّ. لقد سببت الأذى لنفسي ولك. أعلم ذلك. هل ستدمرين حياتك لتغيظيني؟ لِمَ أنتِ خائفة، أوليفيا؟ هل تخشين عودة المشاعر القديمة ثانية؟ لم تقاوميني عندما عانقتك ذلك اليوم. هل تشعرين بالعار لأنك ما زلت تكنين مشاعر تجاهي؟

توتر جسد أوليفيا وندمت لأنها سمحت لحزنها وعدائها بالظهور

فقالت: «لقد فقدت حقك في استجوابي يا جايسون. عندما رميت بنفسك بين ذراعي ميغان، توقفت عن التفكير بي وتركتني أشعر بالمرارة والحرمان. لا تتخيل أبداً أنني سأعطيك الفرصة كي تدمّرني ثانية».

جاء رد فعل جايسون حاسماً وقد عادت إليه مشاعره القوية. فهو ما زال يحس بألم الماضي، وبأنه وقع في شرك بعد أن عاش مع ميغان لأربع سنوات طويلة تعيسة. أربع سنوات ألقت بثقلها عليه وكأنها أربع سنوات من الأبدية. ردّ على أوليڤيا بقساوة: «اغرقي في تعاستك، ليڤ، لم أعد أبالي. كل ما يهمني هو تالي. إنها تحب هذا المكان وقد بنيت لها بيتاً. لديها نونا قريبة منها وقد بدأت تكوّن صداقات».

غشيت الدموع عيني أوليڤيا فبدأت تنزل الدرجات وقلبها يدوي بعنف بين ضلوعها مسبباً لها ألماً شديداً. جاهدت لتسيطر على مشاعرها، وشعرت بالامتنان لأنها تضع نظارتيها الشمسيتين. إن حبها الدائم لجايسون سرّ يجب ألاّ يعرفه أحد سواها. استدارت نحو جايسون وعيناها تلمعان، وقالت: «لدي إحساس بالواجب تجاه الأطفال، جايسون، وهذا أحد الأسباب التي دفعتني لأصبح معلمة، لقد خذلتني منذ سنوات مضت وألحقت العار بنفسك. أعرف أنك عانيت، لكني تعذبت أيضاً. ومشاعري تجاهك تتطلب منك أن تخرج من حياتي».

- إن ما تقولينه أمر رهيب!

تمسك جايسون بالسياج الخشبي وراح يحدق بها. بدا كأن إعصاراً من المشاعر يعصف في الهواء بينهما.

أكملت أوليڤيا كلامها بصوت مشدود: «لكن مشاعري تجاهك لا تشمل ابنتك. من أجلها سأسمح لك بالبقاء يا جايسون كوري».

حاول جايسون الذي كان واقفاً على الشرفة أن يحافظ على هدوء أعصابه مع أنه أراد أن يقفز فوق الدرج قفزة واحدة، ويمسك بأوليڤيا ويهزها حتى تصطك أسنانها. إنه يريدها ويشتاق إليها بشكل مخيف. ناداها بصوت قاسٍ ساخر: «أوليڤيا، أنتِ قديسة. أراهن أنك تعتقدين أن قرارك

هذا سيجعلك تستحقين الدخول إلى الجنة».

حثت أوليڤيا الخطى إلى حيث ربطت المهر في الظل، وهي تعاني من اضطراب هائل في مشاعرها. صرخت به وهي تقفز فوق السرج وتمسك الرسن بإحكام: «أوه، أسكت يا جايسون. أسكت، ودعني وشأني».

- إلى اللقاء، أوليڤيا.

لوّح لها بطريقة متعالية ثم أضاف: «يشرفني كرهك لي، فالكره أفضل من لا شيء».

ما إن ابتعدت أوليڤيا عن بيت جايسون، حتى انفجرت بالبكاء ساحة للدموع بالتدفق دون رقيب على خديها. إنها ليست طائر فينيق يرتفع من النار ليستمر بالحياة، بل إن قلبها ما زال بين الرماد.

٦ ـ أسيرة العاصفة

مرت الأسابيع بسرعة واقترب عيد الميلاد، بينما أوليفيا غارقة في شؤون هاڤيلا. وبما أنها أيام عطلة، فمن المستحيل إبقاء تالي خارج المنزل الكبير، حتى إن أوليفيا لم تحاول ذلك لأنها تشعر بالسوء لأن تالي تعيش دون أم. بالإضافة إلى ذلك، بدأت أوليفيا تتعلق بتلك الطفلة الذكية، المليئة بالحيوية. تتجاوب تالي مع الحنان مثلما تتجاوب البذرة مع الشمس، وغالباً ما تنزلق من شفتيها أخبار عن حياتها التعيسة مع أمها، وعن ذلك اليوم الأخير معها، حين أمسكت ميغان يد ابنتها الصغيرة وقالت لها: «أنا لن أعود يا ناتالي. أبوك لا يحبني وأنا لا أحبك. عليّ البحث عن حياة جديدة، فحظاً سعيداً لك ووداعاً».

كانت تالي في الرابعة من عمرها، وهي تذكر حديث أمها بحرفيته. وقد سمعت أوليفيا تعليق رينانا ورأيها في ميغان حين قالت: «إن القطة تملك حنان الأم أكثر من ميغان».

قابلت أوليفيا جايسون في مناسبات قليلة، وهذا طبيعي، إذ ناقشا مسائل تتعلق بالمزرعة. كانت أحياناً تعطيه تعليمات يتقبلها بهزّة من رأسه ذي الشعر الأحمر، لكن أوليفيا لم ترد أن تتدخل في عمله، إذ كانت أعمال لينفيلد تسير بشكل سلس بفضل جايسون. كل ما أرادته هو إفهام الجميع أنها هي المسؤولة عن كل شيء.

ذات صباح حار من أيام كانون الأول، وهو صباح بشر بعاصفة رعدية بعد الظهر، استدعت أوليفيا جايسون إلى منزلها لتناقش أمور حفلة الميلاد السنوية التي تقام في هاڤيلا للموظفين وعائلاتهم، لأنها أرادت أن يستمر

التقليد الذي بدأه هاري.

التقت جايسون على الشرفة الأمامية حيث رتبت الأمر مع غرايسي كي تقدم قهوة الصباح هناك. عاملته أوليفيا بكياسة كما تتعامل مع الجميع، لم يتطرق أحدهما إلى موضوع اهتمامها الدائم بتالي، إذ بدا ذلك أمراً مسلماً به.

- كان هاري يقيم حفل شواء في الحديقة.

قال جايسون ذلك وهو يستند إلى كرسيه بجسمه الرياضي. ثم تابع قائلاً: «الأولاد يحبون ذلك كذلك أهلهم، تعاملنا مع مطعم ماركو العام الماضي، فكمية الطعام المطلوبة تفوق قدرة غرايسي».

- أعلم ذلك.

أجابته أوليفيا بصوت بارد اعتادت على استعماله عندما تكون مع جايسون، وهو وسيلة دفاع ضد جاذبيته. أكملت قائلة: «إذاً، هل ستتعامل مع ماركو هذه السنة؟».

- أفضل أن نجرب «مأكولات روبن».

قال جايسون ذلك ورشف من فنجان قهوته الساخنة. أكمل حديثه قائلاً: «إنها في البلدة. أنت لا تعرفين روبن نيلسون. انتقلت للعيش هنا مع ابنها منذ سنوات قليلة. إنها طاهية ممتازة، ويعتمد عليها الكثيرون لتحضير الطعام في حفلاتهم هذه الأيام. ربما لأن أسعارها أفضل من أسعار ماركو، لكني أعتقد أن طعامها أفضل أيضاً، وهي تقدمه بطريقة رائعة».

- يبدو من حديثك أنك صديق للسيدة نيسلون.

ابتسم جايسون وأجابها: «إن السيدة نيلسون ليست صديقتي الوحيدة، يا أوليفيا. هل توقعت مني أن أبقى وحيداً؟».

- ليس تماماً. على أي حال، هذه شؤونك الخاصة، وأنا آسفة لأني فتحت الموضوع. إذاً، هل سنطلب الطعام من «مأكولات روبن»؟».

راح جايسون يمعن النظر في أوليفيا وهي جالسة كالأميرة على كرسيها

ذي المسند العالي، مرتدية بلوزة قطنية بيضاء بدون أكمام مع تنورة مناسبة. بدا شعرها الحريري الأسود طويلاً منسدلاً على كتفيها، وقد بدأت بشرتها الجميلة تتلون باللون الذهبي ما أبرز جمال عينيها.

- سألتك هل سنطلب الطعام من «مأكولات روبن؟».

كررت أوليڤيا سؤالها بعد أن وجدت أنها لم تعد تتحمل نظراته إليها. لم تعرف بما كان يفكر، ولم تشأ أن يعرف بما تشعر، فقلبها لم يعد بارداً كالثلج لأن جايسون أدفأه بسرعة أخافت أوليڤيا.

أجابها جايسون بحماسة: «روبن.. طبعاً. اتصلي بها وستكون مسرورة لتولي الأمور».

- لا أريدها أن تتولى كل شيء.

قالت أوليڤيا ذلك وقد تأثرت بحماسته. ثم أكملت كلامها قائلة: «لدي أفكاري الخاصة، لكني متأكدة أننا نستطيع التشاور معاً. هذا إذا قبلت بالاقتراحات، فبعض الطباخين مزاجيين ويفضلون التمسك بأفكارهم».

- روبن ليست كذلك، ومن السهل التعامل معها.

رق فم جايسون القاسي وهو يتكلم. استدار في كرسيه ونظر إلى الحديقة التي لفّها ضباب رقيق بسبب الحر ثم قال: «أليس هذا داني الصغير يركض هناك؟».

تابعت أوليڤيا نظرته ثم أجابته: «نعم. لم أسمعه ينطق بأكثر من كلمتين، لكنه يتحدث كثيراً مع تالي. دعوناه للمجيء بعد أن تحدثت مع والدته، وبدت مسرورة لذلك».

فكّر جايسون في قرارة نفسه أن هذا صحيح. فهو يعرف أن أهالي البلدة يعتبرون تلقي دعوة إلى هاڤيلا لأي سبب كان شيئاً مهماً.

قالت أوليڤيا ببطء وهي تنظر نحو المرج: «هناك شيء أريد أن أسألك عنه. هل ما زال آل دافي يعملون في الطاحونة؟».

استند جايسون إلى الخلف وراح ينظر إليها بعد أن تفقد تالي التي كانت تلف نفسها بغطاء أبيض وتقف خلف داني. سألها: «ألا تريدينهم؟».

عبست أوليڤيا وأضافت: «لا. رغم أني لا أعرف كيف سأخرجهم من الأرض».

- لا داعي لأن تشغلي بالك بالموضوع.

أجابها جايسون بنبرة جافة ثم أضاف قائلاً: «لقد انتقل آل دافي من هنا منذ سنوات بعد أن اشتروا مزرعة حمضيات بعيدة جداً على ساحل سيلفرتون».

- أحقاً؟

لقد تجنبت أوليڤيا سؤال الطفلة عنهم، ومما تذكره أن آل دافي يعيشون في عزلة عن الآخرين في بيتهم الواقع على حدود غابة المطر. وعندما كانت ميغان وشون طفلين كانا يركضان خلف الأولاد الآخرين بثياب رثة.

- ألم يرغبوا برؤية تالي؟

وفكرت كيف يعقل ألاّ يفعلوا؟ إنها حفيدتهم.

- اللعنة، أوليڤيا! أنت لا تعرفين شيئاً. لم يرغبوا برؤية ميغان، فكيف يرغبون برؤية تالي؟ جاك دافي هو أكبر وغد رأيته في حياتي.

قالت أوليڤيا في محاولة للسيطرة على اضطرابها: «ظننت أنهم مسرورون لحصولهم على صهر مثلك».

هزّ جايسون رأسه نافياً كلامها، ثم قال: «قال لي جاك يوم تزوجنا إنني لن أحظى بيوم من السعادة مع ابنته. شعرت أن غضبه موجه إلى ابنته أكثر منه إليّ، ولم يبدُ ذلك منطقياً. تصرف شون بالطريقة نفسها، لكنه كان أكثر إزعاجاً».

توقف جايسون عن الكلام، ولم يخبرها ما قاله له شون ذلك اليوم: «كان عليك التأكد أن الطفل منك. إن ميغان محتالة».

لم يشك جايسون للحظة في حياته بأبوته لتالي. قد تكون ميغان سيئة لكنها لن تكذب في أمر كهذا، فذلك يفوق الخطيئة. إن تالي أعذب طفلة في العالم وعيناها زرقاوان كعينيه، ومن المحزن أن أفراد عائلة داني لم يقبلوا بها كفرد منهم. على أي حال، لم يشأ جايسون أن تختلط تالي بآل دافي لأن

www.elromancia.com

تصرفاتهم لم تعجبه.

دعت أوليفيا روبن نيلسون إلى بيتها لتناقش حفلة الميلاد معها. وجدتها أوليفيا امرأة جذّابة ذات طول معتدل، وشعر قصير أشقر، وعينين عسليتين، وأنف جميل معقوف نحو الأعلى. كما لاحظت أن هناك جرحاً رفيعاً على خدها. ارتدت روبن قميصاً قطنية ذات لون أسود، وبنطلوناً أبيض يبرز جمال جسدها، وحملت حقيبة صفراء. بدت جميلة بشكل عام، لكن من الصعب تجاهل الندبة في وجهها. قدّرت أوليفيا أنها في منتصف الثلاثينات من عمرها وازداد إعجابها بها بعد أن لاحظت ثقتها بقدرتها على تولي أمر حفلة أوليفيا التي ستضم مئة وخمسين شخصاً بمن فيهم الأطفال.

شعرت أوليفيا بالمودة تجاه روبن فوراً، وتساءلت عن سبب تلك الندبة في وجهها. هل هي نتيجة حادث ما؟

- تعالي معي لأريك مكان الحفلة.

سارت أوليفيا أمامها في المنزل. ثم أضافت: «المكان واسع وهو بجانب المسبح، إلاّ أنني قررت عدم السماح لأحد بالسباحة لأن هذا يشكل خطراً على الأولاد، حتى لو كانوا تحت المراقبة. ثم إن الطعام سيكون وفيراً بالإضافة إلى أنواع التسلية الأخرى، إذ إني أفكر بإحضار بهلوان ليسلي الأطفال. وقبل أن يغادر الجميع سيصل سانتا ليوزع عليهم الهدايا».

ابتسمت روبين وقالت: «يبدو الأمر ممتعاً».

- سنعمل جاهدين ليكون ذلك.

وأضافت أوليفيا بابتسامة: «سيحب ابنك أن يرافقك بينما أنتِ تعملين، وسيتعرف على الأولاد الآخرين. سأطلب من أحدهم أن ينتبه له».

أجابتها روبن وقد تلونت بشرتها السمراء بلون زهري: «أنا متأكدة أنه سيحب ذلك».

- أقترح تقسيم المكان إلى ثلاثة أقسام. الأول خاص للشراب والثاني للحلويات والكايك وما إلى ذلك، ثم نضع الطاولات والكراسي في القسم

الثالث، وبقية الحفلة تكون في الهواء الطلق.

تحول مكان الحفلة مع الحديقة الخضراء الفسيحة عبر السنوات إلى مكان للعشاء في الهواء الطلق. اعتاد هاري لينفيلد استعمال الشرفة الخلفية لحفلات الفطور، واستمرت أوليفيا على هذه العادة.

على بعد بضع خطوات من الشرفة تقع بركة السباحة المبلطة بالفسيفساء، وقد قامت بمحاذاتها خيمة كبيرة. بدا كل شيء أنيقاً مرتباً لكنه بعيد عن التكلّف. إنه مكان مثالي للمتعة.

- إنه مكان رائع!

نظرت روبن إلى أوليفيا بفرح وأضافت: «لا أطيق صبراً حتى أبدأ. قولي لي ما الذي تريدينه بالتحديد؟».

- أتوقع أن تكون أفكارنا متقاربة، روبن.

ابتسمت لها أوليفيا ثم تابعت قائلة: «لحم البقر طبعاً، ستيك... الأطفال يحبون النقانق وكرات اللحم والكباب، لكني أظن أن المأكولات البحرية رائعة للشواء أيضاً».

وافقتها روبن بنبرة الطاهية الجدية: «طبعاً».

- أريد إضفاء روح الميلاد بشكل طبيعي. شهدت هاڤيلا عدة حفلات على مرّ السنين. وهذه السنة ستكون زينة الميلاد غنية جداً، وسترغب غرايس بمساعدتنا. إنها بارعة في المطبخ لكنها تتقدم في العمر وأنا لا أريد أن أتعبها. كان عمّي يكلّف فريقاً للخدمة في الحفلات كل عام، وأخبرني مدير أعمالي جايسون كوري أن حفلات السنوات الماضية كانت حفلات شواء.

عند ذكر اسم جايسون كوري، احمر وجه روبن بشدة ما حوّل الندبة في خدها إلى خط فضي مثلّم. ثم قالت لأوليفيا: «إنه لطف من جايسون أن يقترح اسمي من أجل تقديم الطعام. أشعر بالفخر لذلك. ليس لديك فكرة كم ساعدني جايسون حيث أوصى معارفه بالتعامل معي منذ أن أدرك أن خدمتي جيدة. المجتمع هنا متقارب جداً ومطعم ماركو مشهور. لا أنكر

أنني واجهت صعوبة في تأسيس عملي، لكن ما إن أشاد جايسون بعملي حتى فتحت أمامي أبواب الرزق. ثقي أنني لن أخذلك».

نظرت أوليڤيا إلى عينيها الذهبيتين اللتين تشعان بالصدق وأجابتها: «أنا واثقة من ذلك. إنها أول حفلة تقام دون وجود عمتي هاري. وأنا أهدي هذه المناسبة له، لذا يجب أن يتم كل شيء بالشكل الصحيح».

هبّت العاصفة بعد الظهر عندما كانت أوليڤيا تتفقد المخزن الكبير، وهو مكان بديل يستعمل لإقامة الحفلات عندما يتحول الطقس الجميل إلى طقس سيء بشكل غير متوقع كما يحصل اليوم. بقيت روبن نلسون أكثر من ساعة تناقش أفكارها معها، وتقترح خططاً جديدة جعلت أوليڤيا تطمئن إلى أن موضوع الطعام بين يدين أمينتين.

عادت أشباح الماضي تتراقص أمام عينيها، عندما دخلت أوليڤيا إلى المخزن الكبير الذي حوّله هاري إلى قاعة كبيرة رائعة لاستقبال المهنئين في زفافها... اعتقدت أوليڤيا أنها تخطت أسوأ مراحل التعاسة والإذلال، لكن المشاعر الماضية عادت إليها فجأة.

حذّرها صوت داخلي من الشعور بالحزن ومن تذكر مشاكلها المخزية، ففي النهاية على الناس تقبل ما يصيبهم. أخذت نفساً عميقاً لتريح أعصابها، ثم جالت بعينيها في أرجاء القاعة الكبيرة الرائعة.

عبرت أوليڤيا المخزن المعتم وقد عقدت العزم على نزع التعاسة من صدرها، لكنها تذكرت الوعود التي قطعاها هي وجايسون الذي كان فارسها المغوار. يا له من فارس!

إذا كان لا بد لها من البكاء، فلتقم بذلك بصمت في الداخل. ما أغرب الحياة! خانتها ميغان دافي، الفتاة التي أثارت شفقتها في الماضي، وها هي اليوم تهتم بابنتها.

فجأة، أجفلت أوليڤيا، واستدارت بعنف حين هزّ رعد هادر جدران القاعة. وبعد لحظات خطف بصرها برق قوي، فمشت إلى وسط القاعة التي اعتبرتها مكاناً آمناً. لا فائدة من الركض إلى البيت، عليها أن تبقى هنا

حتى تمر أسوأ مراحل العاصفة والأمطار. ما إن ركضت لتغلق الباب حتى بدأ المطر يهطل بغزارة على الحائط الشرقي المواجه للبحر. ورغم أن الظلام بدأ يعم المكان، لم تجرؤ أوليڤيا على إنارة الكهرباء إذ علمت مدى خطورة ذلك.

ما إن وصلت إلى الباب حتى اندفع إلى الداخل شخص قوي وقف يزيل المطر عن شعره ووجهه. ظهوره المفاجيء باغت أوليڤيا كثيراً إلى درجة جعلتها تطلق صرخة مدوية. ومن بين أنفاسها المتسارعة قالت: «جايسون، لقد أخفتني! من أين جئت؟».

خلع جايسون معطفه وعلقه، ثم أجابها ساخراً: «من الواضح أني جئت من المطر. وأنت لا تريدينني طبعاً أن أخرج ثانية، لأنها تمطر بغزارة. لا بد أنك لاحظت ذلك».

لم يعلم جايسون أنها على قاب قوسين من الهروب منه تحت المطر. لمَ أتى إلى هنا الآن؟ رغم قوته، وجد صعوبة في التغلب على الرياح وإغلاق مصراعي الباب.

- ستنتهي العاصفة قريباً، لا تخافي.

نظرت إليه بسرعة، ثم أشاحت ببصرها نحو العاصفة الهوجاء. الآن وقد أصبحت العاصفة العنيفة داخلها، شعرت أوليڤيا بالاختناق داخل المخزن الكبير، فأخذت نفساً يائساً وصلّت كي لا تبدو مشاعرها واضحة على وجهها، لكنها كانت متأكدة أنها لا تستطيع إخفاءها جيداً.

- ماذا تفعلين هنا؟

- لست مجبرة على إخبارك.

- أنا أطرح سؤالاً فقط، هذا كل شيء. بالمناسبة، كيف سارت الأمور مع روبن؟

فاجأها تهذيبه، لكنها ليست المرة الأولى، فأبوه كان كذلك قبله. نظرت إليه بإعجاب لم تستطع كبته وقالت: «على ما يرام».

ارتاحت لأن صوتها أتى ثابتاً. ثم أكملت: «لقد أحببتها وأعجبتني

أفكارها، كلي ثقة أنها ستتدبر أمور تقديم الطعام جيداً في حفلة الميلاد. لكن إذا سارت الأمور، أو جاءت على عكس ما أريد، فأنت من سألومه».

- يبدو أن هذا هو قدري التعيس.

وتكوّر فمه الجميل نحو الأسفل.

لمع البرق مجدداً بقوة هائلة أنارت القاعة المظلمة بضوء ساطع.

- أوه، اللعنة!

انزعجت أوليڤيا ونصحها صوت داخلي بعدم النظر إلى جايسون. ستنتهي العاصفة قريباً ويصبح بإمكانها الهرب منه.

سألها بهدوء: «هل يصعب عليك البقاء معي وحدك، ليف؟ أراك شديدة الانزعاج».

رفعت أوليڤيا رأسها وسألته: «قل لي أي نوع من الانزعاج ترى يا جايسون؟ إنها العاصفة».

- ماذا تفعلين في هذا المكان؟

نظر جايسون حوله، وتجهمت عيناه الزرقاوان في وجهه الجذّاب ثم قال: «أكره المجيء إلى هنا».

ردّت أوليڤيا بسخرية لا تخلو من المرارة: «هذا لا يفاجئني. أنفق هاري ثروة كي يجهز لنا هذا المكان».

- كان هاري أكرم رجل في العالم.

- لقد أحبك كثيراً، أليس كذلك؟ نصف مليون... لا أبالي بذلك، لكني لاحظت أنك استفدت كثيراً من علاقتك بهاري، فأنت ذكي يا جايسون. كلنا نعلم ذلك.

حدّق جايسون في وجهها وتعابيره توحي بتصاعد غضبه.

- هل تريدين القول إنني تلاعبت بمشاعر هاري وبأعماله؟ كان هاري صديقي يا أوليڤيا.. أعرف أنه شعر بالمرارة والصدمة وخيبة الأمل مما فعلته، لكنني نلت جزائي.

رفعت أوليڤيا حاجبيها المقوسين وسألته: «ماذا؟ أربع سنوات؟ إنه

عقاب خفيف».

- ليس إذا عرفتِ ميغان. كانت تعاني من عدة مشاكل.

التوى فم جايسون تحت وطأة الذكريات الحزينة.

- أعتقد أن معظم النساء يعانين المشاكل إذا عشن مع رجل لا يحبهن.

رد جايسون بحدة: «لكن كان عليها أن تحب طفلتها. لو لم تغادر ميغان من تلقاء نفسها لكنت مجبراً على طردها. ازداد الأمر سوءاً حتى بتّ أشعر بالقلق من تركها وحدها مع تالي. وجدت ميغان سهولة في إنزال إحباطها على طفلة صغيرة. كان جاك دافي رجلاً عنيفاً، وأعتقد أن ميغان وشون والمرأة المسكينة التي تزوجها قد عانوا من نوبات غضبه السوداء. هذا النوع من التصرف متوارث لسوء الحظ».

طأطأت أوليڤيا رأسها وابتلعت غصة قاسية في حنجرتها، ثم قالت بنبرة ملؤها الندم: «من المؤكد أنها كانت واقعة في حبك، جايسون. جزء مني كان يشعر بذلك، لكن في ذلك الوقت كانت كل الفتيات واقعات في غرامك فلم أنتبه للأمر. حبي لك أعمى بصيرتي».

انفجر جايسون غاضباً: «إلى الجحيم بكل ذلك! تعبت من حكمك القاسي عليّ، يا ليف. أنتِ لم تعودي تلك الفتاة الحنونة التي أذكرها، بل أصبحت قاسية وحادة الطباع. هل بإمكانك إخباري لماذا أحبتني ميغان بحق السماء؟».

سألها بانزعاج شديد ثم تابع قائلاً: «لا أذكر شيئاً لعيناً واحداً فعلته ليعطيها أقل تشجيع».

ثم أضاف ببرودة: «ميغان دافي خدعتنا كلنا».

أجابته أوليڤيا رافعة صوتها في العاصفة الغاضبة: «أنت لديك تالي.. لديك ابنة صغيرة مميزة، كان من الممكن أن تكون ابنتي. سأصبح في السابعة والعشرين قريباً، وكنت أظن أنني في هذا العمر سأكون قد أنجبت ولدين.. لقد ضيّعت سنوات عمري بسببك يا جايسون!».

سمح جايسون لعينيه أن تتجولا على قسمات وجهها... كم هي جميلة!

عيناها تبدوان بلون الفضة، أمّا فمها فيبدو بلون الفراولة. إرادته القوية فقط منعته من جذبها إلى ذراعيه...

- لا تقولي لي إن شخصاً في عمر السابعة والعشرين يعتبر عجوزاً.

ردّت عليه ببساطة: «لا يمكنني الإنجاب من شخص لا أحبه، جايسون. أنا لا أحب أحداً... لقد اختفى الحب من حياتي».

بدت على وجه جايسون ابتسامة مشدودة، وقال: «لا أصدق أنك لم تدخلي رجالاً آخرين إلى حياتك، ليف. أنت امرأة جميلة ومليئة بالعاطفة».

هزّت أوليفيا رأسها وصححت كلامه قائلة: «كنت امرأة عاطفية. دعني أسألك، هل أنت وميغان مطلقان؟».

- طبعاً نحن مطلقان. لقد رحلت ميغان مع شاب يعمل في المزرعة، وربما انتقلت إلى رجل آخر الآن. ميغان ليست الفتاة الهادئة والمطيعة التي عرفناها، لأن ذلك كان واجهة فقط. أمّا ميغان الحقيقية فيمكنك كتابة مسرحية عنها.

لم تكن أوليفيا تشك بذلك.

- كيف تعلم أنها لن تعود إلى حياتك في وقت ما مطالبة باسترجاع تالي؟

- أوليفيا، تركت ميغان طفلتها مثل...

- مثلما تركتني؟

انزلقت الكلمات من بين شفتيها قبل أن تتمكن من إيقافها.

- أنت لا تستطيعين مقاومة هذه الأفكار، أليس كذلك؟ في الحقيقة، أنا لم أتخل عنك من أجل فتاة أحبها بجنون. كنت أعمى طائشاً وجعلت ميغان دافي، بين جميع النساء، تحمل مني. عليّ أن آخذ في الحسبان أيضاً أخاها شون أو أحد أصدقائه الأغبياء، ربما وضعوا شيئاً في شرابي على سبيل التسلية كي يهزأوا مني. ميغان لن تعود. قالت لي بوضوح إنها لا تريد أن تتقيد بطفلة، أية طفلة.

- إذاً كان عليها تجنب الحمل. هناك خطأ وراثي في أم لا تحب طفلها.

هزّ جايسون رأسه وقال: «كثيرات هنّ كذلك، لكن مشكلتك أنك لم

تعيشي في العالم الحقيقي يا أوليفيا. أنتِ ما زلت أميرة تعيش في برجها العاجي».

- حسناً! لكن هذه الأميرة لا تعيش بسعادة إلى الأبد.

قالت أوليفيا ذلك وقد فضحت تعابير وجهها مدى تأثرها، ثم قفزت مجفلة عندما انفجر الرعد كصوت القنبلة.

- آه! أريد الخروج من هنا.

أنار المخزن برق أبيض قوي مزعج، فتوترت أعصاب أوليفيا التي هرعت نحو الباب. لم تعد تبالي إذا ما بللها المطر أو صعقها البرق، فقد سيطر عليها الذعر لأنها لا تستطيع مقاومة جايسون، وهي تعرف ذلك.

- لا تكوني غبية ليف، عودي إلى هنا.

أمسك بها جايسون، ودون تفكير أدارها نحوه. شعر بالاضطراب يغمره، وسرعان ما قرّبها منه وعانقها...

تمتم قائلاً: «لماذا أريدك؟ أنتِ... دائماً أنتِ».

أرجع رأسها إلى الوراء ليستريح على تجويف كتفه، وأكمل قائلاً: «أنتِ القاضي وأنت الجلاّد».

أحرقت الدموع عينيها. هل هذا ما تمثله بالنسبة إليه؟ أحرقتها لمساته فشعرت بالألم والسعادة معاً. ارتجفت أوليفيا وهو يضمّها إليه بقوة، وأصابعه تتغلغل في شعرها الطويل كما كان يفعل في الماضي، ثم أمسك بشعرها ليقربها منه أكثر. لم تعد أوليفيا متأكدة إذا كانت قدماها ما زالتا تلامسان الأرض المصقولة. كل ما وعته هو استجابتها الكبيرة والخدر الذي لامس كل خلية من خلايا جسمها.

هل هو الشغف أم أنها حرب إرادات بين رجل وامرأة؟ كل ما عليه فعله هو لمسها لتستسلم للرجل الذي خرج من حياتها يوماً ثم دخل إليها دون استئذان.. إنه أمر لا يحتمل!

شعرت أوليفيا بلهيب الشوق يلفحها بعد أن كبتته سنوات طويلة.

يالها من عمياء، ويا لجسدها الخائن! فهمت الآن أن العواطف الجياشة

تصيب أكثر الناس حذراً وتدمر حياتهم، ووعت أن جايسون لم يعش أعزب طوال تلك السنوات بل حصل على نساء كثيرات، وهمس في آذانهن كلمات الحب... قد تكون روبن نلسون واحدة من نسائه... روبن اللطيفة التي تحمر خجلاً حين يذكر اسم جايسون. من يلومها؟

- اللعنة عليك يا جايسون! توقف! توقف الآن!

قرّبها جايسون منه أكثر حتى التصقت به وقال: «حبيبتي ليف!».

- هذا جنون!

- هذا يشبه الجنة! ما الجنون في رجل وامرأة يحبان بعضهما؟ أنت رائعة!

استمر المطر يضرب النوافذ والأبواب لكن الصوت على السقف قد خفّ. ابتعدت عنه بجهد كبير وخطت إلى الوراء لاهثة ومترنحة قليلاً، شعرت بالغضب عندما رأت تعابير وجهه وقد رقت. إنها لا تريد أي حنان الآن وإلى الأبد. سألته: «هل رأيتني أدخل إلى هنا؟ قل لي الحقيقة».

نظرت أوليفيا مباشرة إلى عينيه الزرقاوين اللاهبتين، فلمحت فيهما لمعان التسلية.

- لا، ليف. لا أحب أن أبدو مغفلاً بعد الآن، وأنت كذلك. لكن، اللعنة! عندما نكون وحدنا لا يمكن أن نفعل شيئاً آخر. إنك تشعرين بالعار لأنك ما زلت تتجاوبين معي بالطريقة ذاتها، لكني لا أستطيع إيجاد حل للمشكلة، ولا أنت. أنا أريدك وسوف أحصل عليك. كلانا نعلم ذلك. والآن، قبل أن أجرّك إلى ذراعي كما يفعل رجل الكهف، سأجد طريقي إلى البيت لآخذ تالي. يمكنك البقاء هنا».

رمقته بنظرة من عينيها الكبيرتين اللامعتين، وتساءلت في سرها كيف تكون غاضبة وعلى شفير البكاء في الوقت ذاته؟ سألته باحتقار: «كم من النساء قلت لهنّ هذا الكلام؟».

- أنتِ فقط يا أميرتي.

ارتدى معطفه وحيّاها ثم خرج تحت المطر المنهمر بغزارة.

٧ ـ تخيلات أم حقيقة؟

ارتدت أوليفيا ثوباً من الحرير الأحمر في حفلة الميلاد. إنها تتحاشى ارتداء اللون الأحمر في معظم الأحيان، رغم أن هذا اللون يناسبها. والآن إنه الميلاد، واللون الأحمر هو أحد الألوان التقليدية في هذه المناسبة.

كان ثوبها قصيراً دون أكمام، وهو معلّق على كتفيها بشريطين على شكل لولبي. تنورته مزينة بالخرز الأحمر مع أزهار صغيرة زرقاء وصفراء في الوسط. وبدا شعرها الأسود منسدلاً على كتفيها ومرفوعاً عن وجهها بمشطين صغيرين، فيما بانت قدماها كأنهما عاريتان في الجو الحار، فقد ارتدت صندالاً عالي الكعبين مع شرائط بلون فستانها.

في الماضي، كانت تشعر بالفرح والسعادة عندما تتأنق وترتدي ثياباً جميلة لأجل جايسون، حيث كان ينظر إليها بعينيه الزرقاوين مرسلاً لها إشارات تجعل وجنتيها تحمران خجلاً وتزيد من سرعة ضربات قلبها. والليلة، سيكون جايسون في الحفلة طبعاً...

أزاحت أوليفيا الستائر جانباً ووقفت قرب نافذة في الطابق العلوي تنظر إلى الحديقة الخلفية. بعد قليل سيبدأ وصول الزوار. يبدو المكان رائعاً والأضواء الصغيرة البيضاء تلمع على الأشجار. ارتفعت شجرة الميلاد عشرين قدماً عن الأرض باتجاه السماء المخملية السوداء الأرجوانية، حيث طغى القمر الليلة بضوئه النحاسي على ضوء النجوم، وبدت الخيمات الثلاث جميلة بلونها الأبيض وحافتها الخضراء. وضعت في الخيمة الوسطى طاولات مستديرة ومقاعد مزينة بأقواس كبيرة من قماش التارتان الأحمر والأخضر والذهبي، فيما وضعت أغطية ومناديل حمراء وخضراء على

الطاولات. بدا كل شيء رائعاً، فشعرت أوليفيا بالراحة.

عند الساعة التاسعة بدت الحفلة في أوجها. أمضت أوليفيا وقتاً طويلاً وهي تهتم بضيوفها فلم يبقَ لها وقت كافٍ للأكل.

إنها ليست من الأشخاص الذين يأكلون كثيراً في الحفلات، ولم تدر السبب لذلك بل أرجعت الأمر إلى الإثارة والحماس. استمتعت كثيراً وتجولت بين الناس. جلست مع بعضهم وتحدثت معهم، فهي تعرف كل العائلات وهم يعرفونها أيضاً.

أما تالي، فقد بدت صغيرة وجميلة جداً؛ بدت وجنتاها حمراوين بسبب السعادة وشعرها الكثيف اللامع ينسدل شلالاً من الجدائل، وقد أخذت على عاتقها مهمة الاعتناء بالأطفال الصغار، لا سيّما الصبي الذي يلاحقها كظلها، داني.

وصلت ريناتا باكراً. بدت ملفتة للأنظار بعينيها السوداوين اللامعتين، وخديها الحمراوين اللذين تعلوهما طبقة كثيفة من حمرة الخدود، ووجهها الذي قلت فيه التجعدات، وشفتيها اللامعتين بحمرة قرمزية.

تحدثت أوليفيا معها لبضعة دقائق بعد وصولها، وتلقت منها حضنات وقبلات وأحر التحيات باللغة الإيطالية السريعة المحببة. فكرت أوليفيا أن اللغة الإيطالية هي أجمل لغة في العالم. علّقت ريناتا بصوت عالٍ كي يسمعها الجميع وهي تشير بيديها: «إننا ندين بالكثير لآل لينفيلد. أنتِ تبدين جميلة جداً يا أوليفيا. ثوبك ساحر ومثير. أرجو أن تكون سنة رائعة لك عزيزتي».

ثم انحنت نحوها وتابعت: «سيختفي الألم من حياتك وتعودين سعيدة كما كنت في الماضي. أنا واثقة من ذلك؟».

لم تجبها أوليفيا، وريناتا لم تتوقع رداً منها، لكن كليهما فهمتا ما المقصود من هذا الكلام.

سمعت صوتاً مألوفاً خلفها يكلمها قائلاً: «أنا متأكد تماماً أنك لم تأكلي شيئاً».

بذلت أوليفيا جهداً كي تبقى على مسافة من جايسون كتدبير وقائي، لكنها الآن مضطرة للاستدارة ومواجهته.

- إنني لا أشعر بالجوع.

- الطعام رائع!

انتقلت عيناه إلى الطاولات والكراسي التي وضعت في المكان. بدا الجميع مستمتعين بوقتهم كثيراً وقد بدأ بعض الأطفال يركضون بصخب.

هزّت أوليفيا رأسها وأجابته: «يمكنني رؤية ذلك وقد سمعت جميع أنواع المديح. تستحق روبن مكافأة، وسأتحقق من حصولها عليها. لقد عملت بجهد هي ومساعديها».

تكوّر فم جايسون في ابتسامة وقال: «إنها سعيدة لأنها تقوم بعملها يا ليف، وهو مدعاة لفخرها. لقد عانت روبن من حياة قاسية، لكنها سيدة شجاعة. وأنا أرى أن هذه الأمسية نجحت نجاحاً كبيراً. لِمَ لا تسمحين لي بجلب شيء لك لتأكليه؟ أم أنك تحافظين على وزنك؟».

بدا صوته متهكماً، لكنها فرصته ليسمح لعينيه بالتجول والنظر إليها. لقد نظر إليها كفاية من بعيد، والآن هي قريبة منه، لكم يود أن يأخذها بين ذراعيه، لكن هذه ليست فكرة جيدة. إنه يعرف أوليفيا جيداً، ويعلم أنها تتخذ تدابير وقائية ضده، فهي لم تقترب منه ولم تكلمه إلاّ عندما حيّته وقت وصوله. وهو بدوره لم يتقدم نحوها أيضاً، بل انتظر إلى أن انتهى الجزء الأساسي من الحفلة. إنّ جمال أوليفيا يشعره بالسعادة الآن كما في الماضي.

- إذاً، ماذا تطلبين؟

وقف قربها فبدا طويلاً جداً. ورغم أن أوليفيا أطول قامة من النساء العاديات، لكنها تبدو صغيرة بالنسبة إليه.

- هل أجلب لك مأكولات بحرية؟ ما رأيك بالكركند وبعض السلطة؟

نظرت أوليفيا إلى عينيه الزرقاوين اللتين بدتا كالياقوت الأزرق. لم يكن جايسون مرتدياً سترة بسبب الحر، بل ارتدى قميصاً كحلية اللون مصنوعة من أجود أنواع القطن رفع كميها إلى الأعلى، كما ارتدى سروالاً بلون

الرمال حمل حزامه الجلدي شعار مصمم مشهور، فبدا كأنه عارض أزياء بهي الطلعة.

- لا يمكنني أن آكل الآن يا جايسون. رغم أني أنتبه لنوعية طعامي، لكنني لا أخضع لنظام غذائي معين. كل ما في الأمر أنني لست جائعة، ربما لأن أعصابي متوترة قليلاً إذ أريد أن تكون الحفلة ناجحة.

- إذاً يمكنك أن ترتاحي. يبدو واضحاً أن الجميع يمضون أوقاتاً سعيدة. سيعودون إلى بيوتهم وهم يشعرون بالرضى لكثرة الطعام الرائع. يجب على الأقل أن تشربي القهوة مع بعض الحلوى في نهاية الحفلة. ما رأيك بكوب من العصير؟

رفع جايسون يده وأشار إلى نادل شاب يجوب المكان، ثم قال: «إنه مناسب الآن».

رفع جايسون كوبين عن الصينية وقدم واحداً لأوليفيا. ثم هزّ رأسه للنادل وشكره، فابتسم الشاب له وانصرف.

- هناك طاولة فارغة. تعالي لنجلس.

مشت أوليفيا مع جايسون بضع خطوات وهي ترتشف العصير البارد. وبعد أن جلسا، سألته: «ماذا قصدت بقولك إن روبن أمضت وقتاً سيئاً؟ هل تقصد زواجها؟».

صمت جايسون قليلاً ثم أجابها: «أنا متأكد أنها ستخبرك يوماً ما، لا سيّما أنها أحبتك».

- حسناً! إنني أتساءل عن الندبة في خدها وأرجو ألا تكون نتيجة عنف معها. أخبرتني أنها مطلقة وأن ابنها الصغير ستيفن هنا الليلة.

هزّ جايسون رأسه وقال: «تالي تهتم به. إن فتاة السادسة لديها عاطفة أمومة أكثر من أمها».

- إنها طفلة صغيرة رائعة.

قالت أوليفيا ذلك وابتسامة حنون تطل على شفتيها. ثم أضافت: «إنها لا تشبه ميغان ولا أي شخص من آل دافي».

- حسناً، كما أقول دائماً، لا يمكن للمرء تجاهل عينيّ الزرقاوين.

- عيناها مختلفتان.

أجابته أوليفيا بذهن شارد وقد لاحظت ذلك منذ اليوم الأول. ثم سألته: «هل روبن إحدى نسائك؟».

لم تستطع أوليفيا قراءة تعابير وجهه حين سألها: «بأي حق تطرحين هذا السؤال يا أوليفيا؟».

اعتذرت أوليفيا قائلة: «ليس لديّ حق أبداً. لكنك رجل خطير. وبما أن روبن عانت من ماضٍ تعيس وحزين، لا أريدك أن تؤذيها».

تراقص الغضب في عينيه اللامعتين وقال: «متى ستفهمين أنني لا أؤذي النساء عن قصد؟».

- إن جهلك بما تفعل ليس دفاعاً جيداً.

- لم أخطط كي أؤذيك، أوليفيا. ربما كنت مخدراً يومها! أصدرت حكمك عليّ واعتبرت أن جريمتي من الدرجة الأولى.

نظرت أوليفيا بعيداً، شاعرة بعدم القدرة على مقاومة جاذبيته. تمالكت نفسها قدر الإمكان وقالت: «دعنا لا نتحدث في هذا الموضوع لليلة. أصبح الأمر من الماضي، لكنني أريد أن أوضح أنه لا يحق لك أن تجذبني بيديك القويتين ثم تتوقع مني أن أصمت بينما تتابع مغامراتك منتصراً. إنني أحب روبن».

- هذا يسعدني، لأنها تحبك أيضاً. ولأريح بالك أخبرك أنني وروبن أصدقاء فقط.

- رائع! لطف منك أن تساعدها، وأنا أعني ذلك. أريد أن أتأكد فقط أنك لم تتوهم أننا سنتغاضى عن الجروح القديمة ونبدأ معاً ثانية. لست غبية، وأعلم أنني صيد ثمين هذه الأيام، وذلك بفضل هاري.

رمقها جايسون بنظرة ملؤها التسلية، وقال: «أنت صيد ثمين حتى لو كنت فقيرة، رغم أنك لم تعودي تلك الفتاة الطيبة التي عرفتها في الماضي. أصبح لسانك حاداً يا حبيبتي أوليفيا...».

قاطعته أوليفيا: «لست حبيبتك أوليفيا يا جايسون».

- هل أنت متأكدة من ذلك؟ أعتقد أن الأمر يعود إلى ماضينا المشترك، وأنا لا أقصد واقع أننا كنا على وشك الزواج، بل أقصد طفولتنا ومراهقتنا. إن الرباط بيننا قوي جداً.

- هذا سبب آخر جعلني محطمة عندما خذلتني. لكنني أعتقد أننا اتفقنا على نسيان الأمر.

ابتسم لها ابتسامة متشنجة وقال: «سيبدأ الرقص قريباً. هل تغامرين بالرقص معي؟».

- بصراحة... لا! أنا بخير هنا. أنت رجل خطير يا جايسون، وسيكون الأمر مقلقاً جداً.

- سوف يتوقف الناس عن الرقص ليتفرجوا علينا. حسناً؟ هل تريدين أن أحضر لك القهوة؟

شرب ما تبقى في كوبه من العصير ووقف على قدميه. أدركت أوليفيا أنها يجب أن تختلق عذراً ما، لكنها لم تستطع. بدت الأنوار متدفقة من غرف المنزل مرسلة شعاعها إلى الحديقة. أمّا هما فكانا محاطين بالقمر النحاسي الذي يبحر في السماء فيما ينتشر حولهما عبير الأزهار ورائحة الطعام الشهية والأطفال الأنيقين الفرحين الذين يركضون في أرجاء المكان ويملأونه بالصراخ والضحك. أما الضيوف فكانوا ينظرون إليهما وهما جالسان معاً وعينا جايسون الزرقاوان الجميلتان لا تفارقانها. فالجميع يعرفون قصتهما، وربما يفكرون أن لحفلات الميلاد سحرها الخاص.

- سيكون هذا لطفاً منك.

ما إن مشى مبتعداً على العشب باتجاه الخيمة حتى تمنت في قرارة نفسها: «أرجوك يا إلهي! ليكن ما أقوم به صحيحاً».

لقد دمر جايسون عالمها في الماضي، ويمكنه أن يقوم بالأمر ذاته الآن...

لعب مدير المصنع سلفادور دي لوكا، وهو موظف قديم في مؤسسة

لينفيلد، دور سانتا كلوز ببراعة. عندما كان سلفادور شاباً، كان ذا جسم رشيق، لكنه في أواخر الخمسينات الآن وقد أصبح مستديراً كالبرميل، لهذا ناسبه الدور تماماً، بالإضافة إلى صحته الكبيرة الطيبة وروحه المرحة.

عانت أوليفيا كثيراً في اختيار الهدايا للأولاد، وقد أوصلها محل ألعاب كبير إلى البيت ملفوفة بعناية وترتيب. تسلّم الأولاد هداياهم بالهتاف والضحكات السعيدة، وأيقنت أوليفيا عندها أن لا داعي لخوفها من ألا تكون هذه الحفلة ناجحة كما في أيام هاري. وبينما كان الزوّار يغادرون المكان مع أولادهم المتحمسين أخبروها أنهم أمضوا وقتاً رائعاً.

تعلّقت السيدة دي لوكا بذراع أوليفيا وأخبرتها كم استمتعوا في الحفلة، أمّا زوجها سلفادور الذي ما زال جذاباً فقد شع وجهه الذي لوحته الشمس بفخر وهو يعرفها على الشاب والفتاة اللذين وصلا ليقلاهما إلى البيت،

- هذا ابني كارلو!

أحاط بذراعه كتف الشاب الوسيم الذي ابتسم لأوليفيا ومد يده مصافحاً.

- كارلو! تسعدني رؤيتك.

قالت أوليفيا ذلك بسرور وحدّقت إلى عيني كارلو دي لوكا الزرقاوين، ثم تابعت قائلة: «مضت سنوات، أليس كذلك؟ تبدو رائعاً. أذكر أنك كنت تدرس الصيدلة».

- الطب.. إنه طبيب!

تكلم الوالدان معاً بفخر واضح. لقد عملا بجد ليؤمنا لابنهما وابنتهما ثقافة جيدة. قال سلفادور مازحاً: «إنه الدكتور دي لوكا الآن، لذا علينا أن نحترمه. هذه ليان التي ستصبح فرداً من عائلتنا قريباً - ليان غرانت».

- إنها خطيبتي.

وضع كارلو ذراعه بتملك حول صبية جميلة ذات بنية جيدة وعينين خضراوين وابتسامة واسعة وشعر بني ناعم طويل. قرب كارلو خطيبته أكثر

إلى الدائرة وأضاف: «ليان، هذه أوليفيا، أميرتنا المحلية».

- لا أصدق أن الجميع ما زالوا ينادونني الأميرة!

ابتسمت أوليفيا ابتسامة ملتوية وسلمت على ليان ثم سألت: «لماذا لم تأتيا الليلة؟ كنا سنسر بوجودكما».

هزّ كارلو كتفيه قائلاً: «لديك ضيوفك لتهتمي بهم، ونحن لم نشأ أن نتطفل».

- أتمنى لو تتدبران أمر زيارتي قبل ذهابكما. ما رأيكما بالعشاء؟ سأدعو بعض الأصدقاء، طبعاً أصدقاء يعرفونك يا كارلو، فأنا متأكدة أنهم سيفرحون بلقاء ليان.

ابتسمت ليان وأجابتها: «سأحب ذلك. لديك منزل رائع يا أوليفيا».

- يمكنك التفرج عليه عندما تزورينني.

تقدم كارلو وعانق أوليفيا قائلاً: «نحن نتطلع قدماً إلى ذلك. يمكنك إيجادنا في البيت، إذ نقيم حالياً مع أمي وأبي. يجب أن أسلم على جايسون قبل أن أذهب. أين هو؟».

أدار كارلو رأسه فبان شعره أسود كثيفاً مثل جانح الغراب، وقد اختفت تجعداته الطفولية مع تسريحة عصرية.

- إنه في مكان ما في الجوار.

ردّت أوليفيا عليه وقد فوجئت بشعور من القلق يداهمها. ورغم أنها لم تتخلص من شعورها هذا فقد حافظت على ابتسامتها وأضافت: «جايسون يعمل مديراً لهاڤيلا. تلك كانت وصية عمي، لكن جايسون رجل أعمال بارع».

سألها كارلو: «ألم يعودا معاً هو وميغان؟ لا أحب التدخل في أموره، لكن جايسون رجل عظيم وأنا أحترمه كثيراً وأكره أن أزعجه بأية طريقة».

- تلك الفتاة، ميغان.. أنا لم أحبها أبداً. كانت تسعى خلف ابننا كارلو قبل أن تغرز مخالبها في جايسون المسكين.

قال سلفادور ذلك، لكنه تلقى لكزة من زوجته التي حاولت التغطية

على كلام زوجها فقالت: «تصبحين على خير يا أوليفيا. إنها حفلة رائعة جداً، كان السيد لينفيلد ليشعر بالفخر بك لو أنه معنا».

لوّحت ليان لها بيدها قائلة: «سعدت بلقائك يا أوليفيا».

همست أوليفيا: «سعدت بلقائك».

ولسبب ما، وجدت صعوبة في ابتلاع ريقها. وقفت دون حراك للحظات قليلة كأنها مسمرة بالأرض. راقبت كارلو وخطيبته وهما يتوجهان نحو جايسون.

ظل شعورها بعدم الراحة يعصف في رأسها، وهو شعور يقلق لم تستطع تحديد سببه. بدت مصدومة وكأن أحدهم رمى عليها جمراً أحمر لاهباً.

ما المشكلة؟ ما الذي يحير عقلها؟ ضغطت راحتي يديها معاً وأغمضت عينيها في محاولة لتتخلص من أفكارها. هل الأمر يتعلق بشيء قاله سلفادور؟ لقد شعرت طبعاً بالحرج والانزعاج، لكن مدير المصنع رجل لطيف وهو لم يقصد إيلامها. إن ميغان لم تبق لنفسها أصدقاء بعد أن سرقت منها جايسون، فمعظم الناس أدانوا تصرفاتها أكثر من جايسون، إذ إن تلك المرأة مشهورة بالإغواء.

ضرب شعاع من الضوء دماغ أوليفيا فتوقفت عن التنفس. ظهر لها سبب انزعاجها واضحاً وصاعقاً كأنه الرؤيا. شعرت بعقدة ذنب رهيبة؛ تالي لديها عينا كارلو دي لوكا!

ما الذي تفكر به؟ لو كان الأمر صحيحاً فسوف تتدمر حياة الكثيرين. حدّثت نفسها قائلة: «أنت تتخيلين يا أوليفيا؟... إنها محض صدفة... فالعينان متشابهتان وهذا كل ما في الأمر». شعت أمامها عينا تالي، ثم عينا كارلو... عينا كارلو تتناقضان مع بشرته وشعره الأسود. إنهما لا تشبهان عينا جايسون المميزتين بلونهما الأزرق العميق... ألم تقل هذه الملاحظة لجايسون عندما أرادت أن تحرمه من التبجح بهذا الشبه مع ابنته؟

إن تالي ابنة جايسون! ما مشكلتها كي تأتي بتلك الأفكار الغريبة؟ إنها لا تستطيع معالجة الأمر الآن، كما لا تستطيع نسيانه أيضاً. لم ترَ أوليفيا

كارلو دي لوكا منذ سبع سنوات، فقد ذهب إلى سيدني ليبقى مع بعض أقاربه، ليتابع دراسة الطب. لماذا ظهر الليلة بين كل الليالي الأخرى؟ تمنت أوليفيا أن تحظى بليلة هانئة دون مشاكل، لكن الأزمات جاءتها متنكرة في هيئة صديق قديم...

شعرت بقلق رهيب يتجمع في صدرها. لقد رأت الشبه في الابتسامة وتجعدات الشعر السوداء، فلماذا لم يلاحظه الآخرون؟ إنها الصدفة! هذا هو السبب، وقد تمسكت أوليفيا بذلك. يمكنها أن تتخيل الأشياء كما تريد، لكنها لا تستطيع أن تبوح بها لأي شخص. الشخص الوحيد الذي كان من الممكن أن تفضي إليه بمكنونات صدرها هو هاري، لكن هاري قد ذهب إلى الأبد.

لكنها ليست تخيلات... إنها تعرف الحقيقة!

* * *

بعد أن ذهب الجميع إلى بيوتهم بوقت طويل، وبعد أن ذهبت غرايس إلى غرفتها متعبة وسعيدة، جلست أوليفيا على أرجوحة الشرفة وبدأت تؤرجح نفسها بقدمها. علمت أنها لن تستطيع النوم إذ شعرت بجرح عميق مؤلم. إنها تحتاج إلى الهدوء وإلى وقت للتفكير. ورغم عدم وجود شيء يؤكد شكها، إلاّ أنها بدت متأكدة أن سبب التشابه بين تالي وكارلو دي لوكا هو صلة دم.

هل هي ابنته؟ أفضى لها سلفادور أن ميغان سعت خلف كارلو قبل أن تنشب مخالبها في جايسون. هل هذه حقيقة أم مجرد شيء تخيله سلفادور حينها؟ ربما لاحظت بيلادي لوكا ذلك أيضاً، وقد لكزت زوجها في ظهره لإسكاته كي لا يسبب إحراجاً لمضيفتهما التي تعرّضت للاحراج سابقاً عندما تركها خطيبها.

هذه المعرفة وضعت أوليفيا في مشكلة كبيرة. ماذا ستفعل؟ إنها معضلة أخلاقية. هل تحاول استخراج معلومات من كارلو دون إثارة ريبته؟ ماذا ستقول؟ هل تسأله مباشرة إذا كان قد أقام علاقة غرامية مع ميغان دافي؟

تخيلت أوليفيا أن رده سيكون: «وما علاقتك أنتِ يا أوليفيا؟».

كانت على وشك الزواج من جايسون عندما جاءت ميغان دافي إليه وأخبرته أنها تحمل طفله. لم تكن تحمل طفله بل طفل رجل آخر ليس من السهل عليها الزواج به. كان مصير كارلو قد تحدد من قبل: عليه أن يصبح طبيباً! عمل أهله بجهد كبير ليتمكن من تحقيق ذلك، ولم يكن مسموحاً لأحد أو لأي شيء أن يحول دون ذلك؟

فكرت أوليفيا أن معاناتها وحياتها المهدمة لا تعطيها حقاً في إبداء شكوكها، فهي بذلك تخاطر بجلب المشاكل للآخرين. فكرت بحقوق كارلو، وبدأت تتساءل: أليس من حق كارلو أن يعرف بوجود طفلته؟ ألا يحق لأهله أن يتعرفوا إلى حفيدتهم التي لا يعلمون بأمرها؟ وإذا نظرنا إلى الأمر بمنظار أقرب، ألا يجب أن يعرف جايسون أن تالي ليست ابنته؟ وماذا عن تالي؟ ورينا؟ نعم، تسري في عروق تالي دماء إيطالية، لكنها دماء دي لوكا. لكن لو كانت على حق في ظنونها، وأصبح الأمر معروفاً، فسوف تنقلب حياة الكثيرين رأساً على عقب. فكرت أوليفيا بانزعاج أن ميغان هي الوحيدة التي تعرف الحقيقة. ميغان الخبيثة التي لم تعرف هي وجايسون حقيقتها...

لكن، هل تقع مسؤولية كشف الخداع عليها؟ إن سعادة وهناء طفلة صغيرة على المحك. كيف لها أن تدمر العلاقة الرائعة بين جايسون وتالي وماذا سيفعل كارلو دي لوكا إذا علم أن تالي طفلته؟

وبينما كانت تتأرجح إلى الأمام والخلف بانزعاج، قررت أوليفيا أن أفضل ما تفعله هو الاحتفاظ بأفكارها لنفسها. هناك دائماً إمكانية أن يلاحظ جايسون الأمر ذاته عندما يتحدث مع كارلو، فيدرك أن تالي ليست ابنته وأن ميغان كذبت عليه.

بدا الأمر وكأنها تنتظره... ارتقى جايسون درجات الشرفة الأمامية، وتوقف في أعلاها ماداً ذراعه ليستند على عمود تلتف حوله نبتة كرمة.

– اعتقدت أنك تتمنين الدخول إلى البيت بعد هذه الليلة الطويلة.

- لا أشعر بالنعاس.

نظرت أوليفيا إليه ورأته يقف بهدوء ولا مبالاة، فيما تلألأت أنوار الشرفة لتضيء عينيه الزرقاوين وتعكس لهيب شعره الكستنائي. بدا عليه الارتياح فاستنتجت أوليفيا أنه لم يرَ شيئاً مقلقاً في مظهر كارلو.

ابتسم لها جايسون بسخرية وقال: «هل تمانعين إذا انضممت إليك؟».

إنها تتوق لانضمامه إليها لكنها لن تدعه يعرف ذلك.

- حسناً! لكن لفترة قصيرة.

تنحت جانباً على المقعد فاسحة المجال له ليجلس. إن هذا المكان مفضل لديها. تذكرت كيف كانت تتأرجح معه في الماضي بهدوء إلى الأمام وإلى الخلف في الظلال العطرية حيث تفوح رائحة الغاردينيا حولهما، كان يجذبها إلى ذراعيه ويعانقها بحرارة، فيتراقص قلبها فرحاً وغبطة. حبهما الكبير أعطاهما القوة معاً.

أسند ظهره إلى الخلف واستراح في جلسته بينما لامست يده قماش فستانها الحريري. قال لها: «أنا أحب هذا الفستان. إنه يذكرني بحقل مليء بالأزهار الحمراء. اللون الأحمر يبدو جميلاً عليك».

- شكراً لك. وأنت وسيم أيضاً يا جايسون. لقد اكتشفت ذلك منذ زمن بعيد.

- لا تسكبي وعاء الثلج على رأسي، يا أوليفيا.

أدارت أوليفيا رأسها لتنظر إليه، ثم سألته: «ما رأيك بكارلو وخطيبته؟».

- إنها لطيفة، وهي تناسب كارلو الذي نضج كثيراً، كان شقياً في أيام صباه.

دهشت أوليفيا وقالت: «أنا لا أذكر ذلك».

- ليف، أنت لم تكوني واحدة من الذين يهتمون بهذه المسائل. كارلو حطم قلوباً كثيرة في الماضي.

أجابته أوليفيا بسخرية: «ظننت أنك أنت من فعل ذلك».

هزّ رأسه وأجاب: «لا أحب أن أوصف هكذا. لم أكن أركض وراء كل فتاة في البلدة، لأنك كنت لي. كنت لي دائماً، فلم أر أحداً غيرك. ما أقوله هو أن كارلو، مثل كثير من الشبان، مر بمشاكل غرامية لكنني أظن أنه استقر الآن. يبدو سعيداً مع خطيبته وقد أخبراني أنك دعوتهما لزيارتك قبل سفرهما».

هزّت أوليفيا رأسها وقالت: «إنها حفلة عشاء صغيرة. سأطلب من روبن أن تهتم بالطعام. أعتقد أنها ستسر بالنقود إذ تبدو حياتها صعبة».

هزّ جايسون كتفيه وقال: «كما قلت لك سابقاً، إنها شجاعة. هل أنا مدعو؟».

- دعوتك ستكون غلطة كبرى.

- كيف؟ يمكنني إقامة حوار لائق في حفلة العشاء. هل السبب هو أنني موظف؟

- آه، لا تكن سخيفاً!

شعرت بالانزعاج حقاً. أكملت كلامها قائلة: «السبب هو أن وجودك على طاولة العشاء سيحرك ذكريات كثيرة. ثم إنني لا أشعر بالراحة عندما تكون قربي».

ابتعد عنها بمبالغة ثم قال: «هل هذا أفضل؟».

استند إلى الخلف ومد رجليه الطويلتين فبدا وسيماً ومليئاً بالحيوية.

- لم أظن أنك جبانة يا ليف.

- ألا تؤمن بأن الحكم يجب أن يكون مناسباً للجريمة؟ توقعت منك الحب والوفاء يا جايسون وقد حصلت عليهما مني. أنا ما زلت أهتم بك.

- لكننا لا نستطيع تجاهل علاقة حبنا العميق. لم أخطط لإغواء ميغان فهذا ليس أسلوبي. كل ما أذكره عن تلك الليلة التي لم أخطط لها هو ألم حاد في رأسي استمر لأيام عديدة.

- لقد تقاسمتما فراشاً واحداً بعد زواجكما.

قالت أوليفيا ذلك وهي تشعر بالألم من هذه الفكرة. لكنهما كانا

www.elromancia.com

متزوجين، اللعنة على ذلك! تنهد جايسون بعمق ثم قال: «لقد حاولت يا أوليفيا، كان عليّ أن أحاول، لكن المحاولة لم تنجح. إن العيش مع شخص لا تحبينه يعتبر مصدراً للتعاسة. شعرت بالأسف تجاه ميغان، وما زلت، فهي ذات روح معذبة. وأسوأ الأوقات جاء بعد ولادة تالي. لم تشأ ببساطة أن تحمل مسؤولية الطفلة إذ لم ترد شيئاً يقيدها. حتى إنها انزعجت من حبي للطفلة. لذلك، بدل أن تركزي على أخطائي يا ليف، حاولي أن تري خطأك. امرأة غيرك ستسامحني بالتأكيد».

- حتى في ظروف سيئة مثل ظروفنا؟

ورفعت إليه يديها اللتين لا تحملان الخواتم.

- هذا عائد إليك، ليف.

استجمع جايسون نفسه ووقف بطوله الفارع ينظر إليها، ثم تابع كلامه قائلاً: «سأتمنى لك ليلة سعيدة».

قال جملته بطريقة مثيرة دفعتها إلى التخلي عن حذرها. أوقفها على قدميها بحركة واحدة ناعمة وأبقى جسدها قريباً منه. ثم أحنى رأسه وعانقها...

لم ترفض أوليفيا عناقه، كما لم ترفض ذراعيه القويتين اللتين أحاطتا بها بشغف، ذلك الشغف الذي لم تنسه أبداً. لا مجال للتراجع الآن، فنيران الشوق لم تعد تُحتمل، وها هي تنطلق في سماء الليل لتغلفهما بحرارتها.

أزاح جايسون شلال شعرها اللامع جانباً ممرراً يده برفق فوق ظهرها، وتمتم قائلاً: «لا أستطيع أن أمضي يوماً آخر بدونك يا ليف. دعيني أحبك كما أريد. لا تشعري بالحزن والمرارة. لقد عوقبت بما يكفي».

شعرت أوليفيا أنها على شفير البكاء بسبب اضطراب مشاعرها.

- ماذا تريد يا جايسون؟

بلعت ريقها ثم تابعت كلامها بقلق وعدم ثقة: «هل تريدنا أن نبدأ علاقتنا من جديد؟».

- نعم.

جاء ردّه عاجلاً ومن صميم قلبه. ثم تابع: «ألم نعاني بما فيه الكفاية؟ أريدك أن تعودي إليّ يا ليف».

بدأ قلب ليف يدوي ليس من الإثارة فقط بل من الحيرة والاضطراب أيضاً. ماذا يجدر بها أن تفعل؟ إن توقها له في تزايد مستمر... شعرت بالألم فجأة. سوف تدمر آخر دفاع لها باستسلامها إلى جايسون، وسيكون ذلك خطأ فادحاً بعد أن عملت جهدها لتبتعد عنه. لقد عادت الآن إلى محيطه المغناطيسي، وها هو جسدها يخونها مع كل لمسة منه.

تقوس جسدها وارتجف في محاولة منها للانسحاب. لقد انتهى زمن الأحلام وأيام الصفاء والبراءة. لن تعود ثانية، لأن ميغان دافي غيرت كل شيء بدخولها بينهما وجلب طفل إلى الوجود. خوفها من التعقيدات التي ستحصل جراء ذلك بالإضافة إلى سلطة جايسون عليها دفعاها إلى القول: «هكذا ستحصل عليّ وعلى هافيلا كتحلية اتفاقية الزواج».

ثم ابتسمت له بغرابة وأضافت: «قد يسمي بعضهم ذلك بالترتيب المناسب».

الاحتقار البارد في صوته آلمها حين قال: «هل هذا ما تظنين؟».

- لقد كبرت وصرت أكثر حكمة الآن يا جايسون.

- أنا أعرف ما أنتِ عليه.

صوته القاسي طغى على قسماته الوسيمة. تابع قائلاً: «ليس للحكمة دور في ذلك. أنت امرأة باردة حقودة ومتعالية، وأنت تستمتعين بلعب دور الحكم على الأخلاق يا أوليفيا لينفيلد. لا أعتقد أنك قادرة على إقامة علاقة مع أي شخص بمن فيهم أنا».

شعرت بحرارة الإهانة تصل حتى جذور شعرها، فاندفعت تجيبه غاضبة: «أنت على حق تماماً. لقد عشت من أجلك في الماضي يا جايسون. وسوف أستغرق وقتاً أطول مما أعتقدت كي أستطيع العيش بدونك».

- وهل تتوقعين مني أخذ كلامك على محمل الجد؟

بدا صوته قاسياً وهو غاضب، غاضب جداً. أمسك بها بخشونة وعانقها عناقاً قاسياً معذّباً، كأنه يضع عليها وشماً سيبقى عليها مدى الحياة.

- يا لك من منافقة تقول كلاماً لا تعنيه. بإمكاني جعلك تتوسلين إليّ في دقيقة واحدة. لكن أتعلمين؟ أنت لا تستحقين المحاولة. أنت مغلّفة بأحداث الماضي يا أوليڤيا. سأتركك وحدك.

راقبته أوليڤيا بوهن وهو يبتعد عنها غاضباً، ثم يصعد إلى سيارته ويغلق الباب بعنف. شعرت بنفسها وكأنها علقت في تيار مائي هادر، ويداها تضربان دون جدوى، ورأسها بالكاد يرتفع فوق سطح الماء. إنها تفعل كل شيء ضمن مقدرتها لتدفع جايسون بعيداً عنها، لكنها لا تستطيع تفسير تصرفاتها المتناقضة. فذلك السر العميق الذي اكتشفته الليلة أفقدها توازنها تماماً. كيف يمكنها أن تبدأ ثانية علاقتها مع جايسون في حين أن هناك أسئلة عديدة دون إجابة تحوم حوله؟

بدأت أوليڤيا تسير نحو البيت بخطى بطيئة. على الرغم مما يقوله جايسون، فكرت أن هناك إمكانية كبيرة لعودة ميغان ثانية، بل إنها تكاد ترى جسدها الصغير يتحرك بين الظلال. ربما كرهتها ميغان دافي طوال حياتها وحسدتها، فقد كان جايسون لها، والعم هاري الثري اهتم بها، وعاشت في بيت جميل.. محبوبة ومحترمة من الجميع، وهذه كلها أشياء تثير غيرة وحقد ميغان. ستكون أوليڤيا غبية إذا استبعدت قدرة ميغان على إثارة المشاكل إذا عرفت أنها وجايسون قد عادا إلى بعضهما. بدا واضحاً أن آخر شيء أرادته ميغان هو رؤية جايسون وأوليڤيا سعيدين، إذ إنها لا ترحم أحداً إذا تعلّق الأمر بشؤونها ومصالحها.

لقد أرادت جايسون بشدة، لكنها قررت إبعاده عنها، وهذا يجرح قلبها. لمعت الدموع في عينيها... ما زالت تشعر بلمساته وبرائحته. كل ما حولها يثير حيرتها وألمها.

- أحبك يا جايسون!

قالت ذلك بصوت عال. إنها تشتاق إليه منذ سنوات لكنها أبعدته عنها. يا لغرابة الحب...!

أطلقت أوليڤيا العنان لدموعها علّها تجد فيها العزاء...

www.elromancia.com

٨ ـ دعوة إلى العشاء

بدا مطعم روبن جميلاً كأنه بيت للعبة عند زاوية الشارع العام للبلدة. أعجبت أوليڤيا بالواجهة الأمامية البارزة التي تعرض مجموعة كاملة من المأكولات الشهية وبالباب الزجاجي ذي المقبض النحاسي الأصفر. عند أسفل الواجهة الزجاجية زرعت عدة نباتات خضراء لامعة عليها زهور حمراء كثيفة، ما أضفى على المكان لمسة رائعة.

دفعت الباب ودخلت، فأنعشها هواء المكيف البارد بعد الحرارة الشديدة والرطوبة العالية في الخارج. رأت روبن تتحدث إلى أحد الزبائن وقد ارتدت زيها الأبيض المريح مع مريلة زرقاء وبيضاء مربوطة حول خصرها. نظرت روبن إلى أوليڤيا وابتسمت لها مرحبة وكذلك فعلت مساعدتاها، وهما المرأتان اللتان جاءتا معها إلى حفلة الميلاد.

سألتها روبن: «ما رأيك بفنجان قهوة بينما أنت تنتظرين؟ لن أتأخر».

- رائع.

جلست أوليڤيا على كرسي عال أمام طاولة وُضعت عليها مجموعة من مجلات الطعام.

بعد لحظات، أحضرت لها إحدى مساعدات روبن فنجان كابوتشينو تعلوه طبقة كثيفة من الكريما، وقدمت لها معه فطيرة صغيرة بالبندق، فشكرتها أوليڤيا وتبادلتا بضع كلمات حول الطقس وإمكانية هبوب عاصفة بعد الظهر. ثم عادت المرأة إلى عملها تاركة أوليڤيا تستمتع بقهوتها.

بعد مضي عشر دقائق انضمت إليها روبن.

- أنا سعيدة جداً لرؤيتك، أوليڤيا. أهلاً بك في مطعمي الصغير.

- لقد جعلت منه مكاناً مميزاً.

هزّت روبن رأسها موافقة ووجهها يشع بالرضى: «لم أتوقع أن تزدهر أعمالي بهذه السرعة. كما قلت لك سابقاً، عندما جئت إلى هنا في البداية سارت أعمالي بشكل بطيء جداً إذ إن الناس يساندون معارفهم مثل ماركو وغيره. هذا لا يعني أنهم سيئون، لكني شعرت أن المنافسة صعبة».

- لحسن الحظ أن جايسون ساعدك لتصبحي معروفة.

- نعم، جايسون!

داهمت موجة من الاحمرار وجه روبن التي أضافت قائلة: «إنه رجل جذّاب بشكل غريب، والناس يستمعون إلى ما يقوله. إنه لطيف».

- باستطاعته أن يكون لطيفاً.

نظرت روبن إلى أوليڤيا وقالت بتردد: «آمل ألا تمانعي، أوليڤيا، لكن السكان المحليين أخبروني...»

- ... أنني كنت على وشك الزواج من جايسون؟

ردت أوليڤيا مدركة أن روبن لم تعرف كيف تتطرق إلى الموضوع.

ثم أضافت: «لكن الأمر لم ينجح لأن جايسون- رغم ذكائه- وقع ضحية خداع امرأة تدعى ميغان... أنا متأكدة أنك سمعت بقية القصة».

هزّت روبن رأسها موافقة وهي تشعر بالارتباك. ثم قالت بتأثر: «لكنه ما زال يحبك».

سألتها أوليڤيا بهدوء: «ما الذي يجعلك تعتقدين أنه ما زال يحبني؟».

ردّت روبن بحزن: «علمت ذلك لحظة رأيتكما معاً. وأدركت أيضاً أنني أقترف خطأ كبيراً في محاولة لفت نظره إليّ».

- آه، روبن!

أرادت أوليڤيا أن تفرج همّ روبن بإعطائها شيئاً إيجابياً تتعلق به، لكنها لم تستطع.

ابتسمت روبن وربتت على يد أوليڤيا قائلة: «لا بأس، سأرضى بالصداقة. جايسون رجل طيب وهو والد رائع لتالي».

طأطأت أوليفيا رأسها موافقة ثم قالت لروبن: «أرجوك، أوقفيني إذا كنت لا تريدين التحدث في الموضوع. زواجك... هل كان تعيساً؟».

ركّزت روبن عينيها العسليتين على نقطة خلف كتف أوليفيا وقالت: «بل كان أسوأ من ذلك يا أوليفيا. كان زواجاً عنيفاً، عانيت فيه من دوائر سوداء حول عيني وعظام مكسورة. تحملته إلى أقصى الحدود إلى أن هددني بسكين وجرح وجهي».

لمست روبن خدها بحذر وكأنه ما زال ينزف ثم تابعت: «بعد ذلك وجدت الشجاعة لأتصل بالشرطة. لم أخبر أحداً عن لايل ولا حتى أهلي أو أخي أو الأصدقاء القليلين الذين تركتهم. شعرت بالعار فتابعت التظاهر بأن زواجي سعيد. صدق الكثيرون هذا الأمر، لا سيّما أن لايل كان يتصرف بشكل جيد حين نخرج معاً، ويعود إلى طبيعته السيئة ما إن ندخل إلى البيت».

- كم هذا رهيب! أنا آسفة جداً جداً. لم تكن الحياة سهلة بالنسبة إليك، لكني أحب أن أشارك في تحسين ظروفك. في الحقيقة، جئت إليك اليوم لأطلب منك تولّي تقديم الطعام في حفلة عشاء سأقيمها ليلة السبت القادم. جاء صديق قديم لي إلى البلدة مع خطيبته. إنه كارلو دي لوكا، ابن مدير المصنع. أريد منك، إذا استطعت، أن تجلسي معنا إلى طاولة العشاء كضيفة، وبذلك تسدين إليّ خدمة فيما يخص العدد.

بدت روبن غير واثقة من ذلك، لكنها شعرت بالاطراء والسعادة في الوقت ذاته. ابتسمت بفرح وقالت: «أعتقد أنك تبدين اللطف تجاهي».

فكرت أوليفيا بشخص معين ستنسجم معه روبن تماماً. وقالت: «أريدك أن تنظمي الأمور بحيث تشرفين على كل شيء مسبقاً وتتركين مساعدتيك تقومان بالعمل وتقدمان الطعام وقت العشاء. لن تكون غرايس موجودة لأنها تحب تمضية الميلاد ورأس السنة مع أختها الأرملة في بريسبن. ما رأيك؟ هل أعجبك الأمر؟ ارتدي ملابس جميلة، فهذه فرصتك لتتألقي».

لم تستطع روبن السيطرة على فرحتها، فردّت: «لا أعرف ماذا أقول».

ضحكت أوليفيا وقالت: «هذا سهل. قولي: «نعم»».

* * *

آه! إني أكاد أموت.

فكرت ميغان بذلك وهي ترتمي على السرير في المقطورة. كل شيء حولها بدا قاسياً، بدءاً من العمل في السوبر ماركت إلى العيش في مقطورة قذرة متهالكة. أما كانت حالها أفضل لو أنها بقيت مع جايسون والطفلة؟ لن يحبها جايسون ويشتاق إليها كما يحب الأميرة اللعينة أوليفيا ويشتاق إليها، لكنه حاول جاهداً أن يكون صديقاً لها. اهتم بها إلاّ أنه لم يستطع أن يحبها كما أحب أوليفيا الكاملة أو ناتالي الصغيرة المزعجة التي تدفعها إلى الغضب. من المحزن ألاّ تكون تالي ابنة جايسون.

لم تستطع ميغان أن تنسى طوال السنوات الأخيرة أن جايسون، وقبل أمسية من زواجه بأميرته الغالية، قد صدّق القصة الملفقة التي أخبرته بها عن كونه والد الطفل في أحشائها، وهي أحياناً تشعر بالأسف حقاً لأنها فعلت ذلك بجايسون بينما تضحك أحياناً أخرى لدرجة تؤلمها. ميغان متأكدة أنها لو ذهبت إلى كارلو لطلب منها أن تغرب عن وجهه أو تجهض أو شيئاً من ذلك.

كان كارلو دي لوكا مصمماً على أن يصبح طبيباً، وهذه المهنة تعتبر نقلة نوعية لمركزه الاجتماعي والمادي. وهكذا، فإن كارلو دي لوكا لن يتزوج ميغان دافي الصغيرة المثيرة للشفقة حتى لو كانا قد أمضيا ليلة صاخبة معاً جعلتها حاملاً.

لقد رأت ما جرى في حفلة شون، وكيف دسّ غوردون كاسيدي المخدر في شراب جايسون. رأى أصدقاء شون المخمورين أن الأمر مزحة كبيرة، فهم يكرهون جايسون الذي يمثل كل شيء لا يستطيعون بلوغه. بالإضافة إلى ذلك، فهو سيتزوج الأميرة اللعينة لينفيلد، وينتقل من الفقر إلى الغنى.

عندما استفاق جايسون في الصباح التالي كانت ترقد بجانبه. شعرت

ميغان بالسرور لنومها بجانب ذلك الرجل ذي العضلات القوية، لكنها لم تتردد أو تتلعثم عندما جعلته يصدق أنه أقام علاقة جسدية معها في الليل.

كان جايسون يعاني من آثار المخدر، فاستنتج أنه لا بد قد فعل ذلك. لم يخطر في باله مطلقاً أنها ممثلة جيدة لا سيّما أنها متأكدة من حملها، وقد أقنعت نفسها أن لا خيار آخر أمامها.

منذ أسبوع، وبمحض الصدفة، التقطت صحيفة قديمة عليها صورة صغيرة لوجه تعرفه على الصفحة الأولى، كتب تحتها: «هاري لينفيلد في ذمة الله...».

وفي النهاية وجدت النعي وصوراً أخرى. يعتبر هاري لينفيلد رجلاً مهماً في شمال كوينز لاند وفي الجوار أيضاً. احتفظت بتلك الصفحة بعد أن قرأت الموضع بنهم. والآن، أخرجت ميغان الصحيفة مجدداً من أسفل الفراش الرقيق.

كم تكره حياتها هذه! جرت الأمور على ما يرام لفترة في البداية، لكنها مؤخراً باتت تتجادل طوال الوقت مع بروسي، الرجل الذي رحلت معه والذي يختلف عن جايسون القوي الوسيم.

اللعنة! ليت الأميرة أوليفيا لم ترث أموال عمها ومزرعة هاڤيلا الأسطورية لقصب السكر أيضاً! في الصحيفة صورة لها وهي تقف أمام ذلك البيت الرائع ذي الأعمدة. بدت جميلة جداً بشعرها الأسود الطويل وعينيها الماسيتين. لم يدر في خلد أوليفيا مطلقاً أن ميغان تكرهها وأن سلبها جايسون منها قد أسعدها. إن سرقة العريس أمر جيد لتلقين أوليفيا درساً. لماذا يجب أن تكون غنية وجميلة وسعيدة، فيما ميغان دافي لا تملك شيئاً من ذلك، ولديها احتياجات كثيرة لم تستطع تلبيتها؟ أوليفيا لينفيلد محظوظة لكونها ولدت ثرية في أسرة عريقة. إذاً، لماذا تسمح لها بالزواج من أميرها؟ لا، لم تشعر بالسوء لخيانتها صديقتها اللطيفة المحبة التي تواضعت وطلبت منها أن تكون إشبينتها. لكن جايسون لم يحبها أبداً، وبدلاً من ذلك أحب تالي التي تنظر إليها بعيني كارلو دي لوكا. سيفعل جايسون أي شيء

للاحتفاظ بتلك الطفلة، وربما حان الوقت لزيارته هو وحبه الحقيقي أوليفيا... علمت ميغان منذ مدة أن جايسون عاد إلى بلدته ليبقى مع أمه المحتضرة، وعلمت أن هاري لينفيلد أعطى جايسون وظيفة الإشراف على هاڤيلا. لطالما أحب هاري لينفيلد ذلك الرجل، وقد ذكر في الصحيفة أنه ترك له شيئاً في وصيته.

في النهاية، قدّم موت هاري لينفيلد لها فرصة ذهبية عليها اغتنامها. وإذا أراد جايسون أن يحافظ على حقه في حضانة تالي عليه أن يدفع الكثير من المال!

مسكين جايسون! لكن، لا بأس، الأميرة أوليفيا عادت لتساعده.

* * *

عندما فتح جايسون الباب فوجيء برؤية أوليفيا ممسكة بيد تالي، وواقفة على الشرفة.

- أبي!

ارتمت تالي عليه وقد بدت غاية في السعادة، فالتقطها جايسون ورفعها كأنها ما زالت طفلة صغيرة. كم هو قوي!

- عزيزتي، كنت ذاهباً لإحضارك، لكنني أخذت حماماً سريعاً أولاً.

اقتربت تالي منه أكثر وقالت: «رائحتك طيبة. وشعرك مبلل».

مدّت يدها لتلمس شعره الأحمر الداكن ثم تابعت: «أوصلتني أوليفيا إلى البيت. أمضيت وقتاً ممتعاً إذ سمحت لي ليف بأن أتفرج على عدة صور عائلية. رأيت صوراً لك، وعدة صور لكما معاً أنت وليف. بدوتما رائعين ولطيفين. كان ذلك قبل أن تقررا الزواج».

أنزل جايسون تالي إلى الأرض وقال: «هل ستدخلين يا أوليفيا؟».

- سأدخل لفترة قصيرة لأني أريد التحدث إليك في أمر ما.

استمرت القطيعة بينهما لعدة أيام وقد أزعجها ذلك أكثر مما توقعت.

- أحقاً؟

ركضت تالي إلى الداخل في حين تراجع جايسون كي تمر أوليفيا. قالت

تالي بحبور وهي تعدو باتجاه التلفزيون: «جئت في الوقت المناسب كي أشاهد برنامجي المفضل».

- شاهديه في غرفتك يا عزيزتي كي نتمكن أنا وأوليفيا من التحدث.

- طبعاً.

منحتها تالي ابتسامة مرحة أظهرت نمو سنها الثاني الذي بدأ يغلق الفجوة في فمها. ثم قالت لأوليفيا: «ناديني قبل ذهابك يا ليف، كي آتي وألوّح لك مودعة».

- سأتذكر هذا.

- عن أي موضوع تريدين التحدث إلي؟

سألها جايسون ذلك ثم مرر يده في شعره الرطب الذي بعثرته يد تالي.

- أريد أن أعرف إذا ما قررت الذهاب إلى حفلة العشاء مساء السبت.

تركت أوليفيا شعرها مسترسلاً وها هو يتموج كالشلال حول كتفيها، كما ارتدت ثوباً أبيض مطبعاً بالأزهار وهو فستان لم يره من قبل، كان الجزء الخلفي من قبته مربوطاً خلف عنقها. بدت جميلة وهادئة كالزنبقة في حين بدأت موجات الحر تجتاح جايسون من كل جانب!

- يبدو أنك تريدينني كي أكمل العدد.

هزّت رأسها وقالت: «يمكنني دعوة من أريد وبهذا يكتمل العدد».

استدار مبتعداً عنها قليلاً وقال: «شكراً لاهتمامك بتالي. أرجو أن يكون تصرفها جيداً».

- تصرفها أفضل من تصرفك. أنت ابتعدت كثيراً لتتجنبني في حين من المفترض أنني ربة عملك.

ردّ بصوت يخلو من العاطفة: «أنت لست ربة عملي».

- بل أنا كذلك. صدقني!

تحولت عيناها إلى عاصفتين، فضحك فجأة وقال: «أعلم ذلك. لكني بدأت أراجع قراري بالبقاء هنا».

لم تستطع أوليفيا أن تتمالك نفسها، فقالت: «عليك أن تبقى، لأنها

وصية هاري. ثم إني أحتاجك».

- آه، عفواً! لم ألاحظ ذلك.

ردّ عليها بسخرية ثم أضاف: «هل هناك لباس معين لهذه الأمسية الجميلة، أم أن الجينز خيار وارد؟».

حدّقت أوليفيا به والتعب يطل من عينيها، ثم قالت: «أوه، جايسون. ألا يمكن أن نبدأ ثانية؟».

- ظننت أنك أوضحت الأمر جيداً حين قلت إنه آخر شيء تريدينه.

- حسناً! أنا أحاول. لقد دعوت بن رايلي.

ظهرت السخرية واضحة في صوته حين قال: «أهذا كل شيء؟».

- أعتقد أن بن وروبن سيتفقان جيداً.

- رائع! إنها مصادفة جيدة أن أتفق معك في هذا الأمر، هل تعتقدين أنك ستجدين يوماً رجلاً تريدينه يا أوليفيا؟ لن يكون الأمر سهلاً لأنك تضعين مقاييس عالية.

ردّت أوليفيا عليه بعذوبة مُرة: «لقد أردتك أنت يا جايسون».

برقت عيناه الزرقاوان فبدتا كجوهرتين متناقضتين مع بشرته النحاسية، وأجابها: «أشعر بالإطراء قليلاً لأنك ما زلت تريدينني».

نظرت أوليفيا إليه بغضب وقالت: «هلاّ أخبرتني إذا قررت الذهاب أم لا؟».

بدلاً من ان يجيبها، سألها فجأة: «مهلاً، أوليفيا. من دعوت لترافقني؟».

شعرت بالحاجة إلى ضربه، لكنها ابتسمت وسألته: «ما رأيك برفقتي؟».

- اللعنة يا فتاة! عندما تقررين شيئاً تحصلين عليه.

استدار مبتعداً عنها بكبرياء، فقالت أوليفيا: «إنها ليلة واحدة فقط».

ابتسم بكسل قال: «لا بأس بذلك. يمكننا أن نكون مهذبين لبضع ساعات. والآن، هل ستخبرين تالي أنك ذاهبة أم ستهربين؟».

تجاهلت أوليفيا سؤاله وقالت: «بالنسبة إلى مساء السبت، يمكن لتالي أن تمضي الليلة عندي. يمكنها أن تنام في الطابق العلوي».

- حسناً!

ثم أدار رأسه ونادى بصوت عال: «تالي، أوليفيا سوف تغادر. تالي».

٩ ـ حلم، صحوة، وعناق

- أحب هذا المكان. إنه ساحر!

نظرت ليان خطيبة كارلو حولها بإعجاب واضح، وقد شعرت أن هافيلا هي أجمل مكان رأته في حياتها. فغرفة العشاء ذات سقف مرتفع مطلي باللون الأزرق المائل إلى الخضرة، وهي ذات حافة بيضاء من الجص مزخرفة، عليها لمسات متفرقة من الطلاء الذهبي اللون.

تدلت من السقف ثريا كبيرة ذات طراز قديم، مصنوعة من الزجاج مع سلاسل لامعة وقطع من الكريستال على شكل قطرات الماء. أمّا في وسط الطاولة فقد وضع إناء جميل لونه أبيض وأزرق مزيّن بصور ملائكة صغيرة، يرتفع على قاعدة زينت بالورود البيضاء.

أشبعت ليان ناظريها من الجمال الموجود حولها، وشعرت بالسعادة لحصولها على فرصة لزيارة المكان. أرادت أن تحتفظ بهذا المنظر حياً في ذاكرتها؛ فبعد أن أمضت معظم حياتها في الدراسة، ستتزوج قريباً من كارلو وتصبح ربة منزل تقيم حفلات عشاء راقية وممتعة لضيوفها، لكنها تستبعد أن تكون مآدبها أخاذة ورائعة كهذه.

جلست أوليفيا، وهي المضيفة، على رأس المائدة الطويلة. أرادت أن تضع جايسون على رأس المائدة الآخر، لكنها علمت أنها لن تستطيع تحمل الأمر. وبدلاً من ذلك، اختارت بن رايلي. بن رجل محبوب من الجميع وهو طويل وقوي البنية في أوائل الأربعينات من عمره. قسماته جذابة، شعره بني كثيف، وعيناه سوداوان ذكيتان. ورث بن عن والده المتوفي كيت رايلي، وهو صديق مقرب لهاري، مزرعته الكبيرة وأملاكه الكثيرة، لكن

www.elromancia.com

مأساة حطمت حياته. فبعد أن أجرت زوجة بن الشابة، فكتوريا، فحصاً طبياً روتينياً، تبين أنها تعاني من سرطان نادر أودى بحياتها في وقت قصير جداً.

كان ذلك منذ اثنتي عشرة سنة، وبن لم يتزوج بعد ذلك. أملت أوليفيا من صميم قلبها أن ينجذب بن وروبن إلى بعضهما البعض.

بدت روبن في أبهى صورتها الليلة وهي ترتدي ثوباً كلاسيكياً أسود يظهر جسدها الجميل وبشرتها الناعمة التي لوحتها الشمس، أمّا شعرها الأشقر فقد رفعته في تسريحة متموجة معقّدة.

لم ترد أوليفيا أن يشعر بن وروبن أنها تدفعهما باتجاه بعضهما البعض، فلم تُجلس روبن بجانبه بل وضعتها في مكان قريب منه.

كان جميع الحاضرين، باستثناء ليان وروبن، على معرفة سابقة ببعضهم البعض، ومن العمر ذاته، ومعظمهم ذهبوا إلى المدرسة الابتدائية ذاتها. ومن الحضور أيضاً، شابتان هما لوسي وتمارا اللتان تزوجتا من حبيبيهما، وقد كان متوقعاً أن تكونا اشبينتين لأوليفيا في زواجها الذي لم يتم. لم تظهر إحداهما أدنى بادرة من العداء لجايسون الذي حطم قلب صديقتهما أوليفيا. بدا أن الجميع قد غفر لجايسون فعلته، بل إن صديقة أوليفيا العزباء، كانديس، بدأت تغازله بوضوح محاولة أن تجذب انتباهه إليها.

بصورة لا شعورية، ودون محاولة منه، أصبح جايسون الضيف الأكثر أهمية، الذي تحوم حوله الضحكات والأحاديث. وفكرت أوليفيا أنه ورث عن جدته أسلوبها في رواية القصص بشكل جميل. سمحت لعينيها أن تستريحا عليه وهي تدرك أن لا شيء يمكن أن يحطم الرابط بينهما رغم سنوات فراقهما الطويلة. لقد أحبته وسوف تحبه دائماً، لكنها لا تستطيع تخليص نفسها من الحزن عندما تفكر في ما حصل بينهما. يا للسنوات الضائعة!

بدا جايسون رائعاً، وسيماً، وديناميكياً، وبان التناقض واضحاً بين عينيه الزرقاوين العميقتين وشعره الذي يبدو كالشعلة الداكنة. بدت ثيابه

أنيقة أيضاً وهذا يعود إلى طبيعته الإيطالية. فقد ارتدى سترة من الحرير بلون القشدة محاكة ببراعة، كما ارتدى قميصاً زرقاء قبتها مفتوحة وبنطلوناً بلون القشدة أيضاً. وجدت أوليفيا صعوبة في إزاحة نظرها عنه، لكن على الأقل لديها عذر في النظر إليه إذ كان ضمن مجال نظرها.

شعرت بالارتياح لرؤية بن يعود إلى حياته الاجتماعية، ويستمتع بوقته، فكان يستدير غالباً في اتجاه روبن ليقيم ردات فعلها وكيفية استجابتها لقصة أحبها، إذ إن المشاركة في حس الدعابة أمر مهم.

ازداد الضحك حول مائدة العشاء وحققت الأمسية نجاحاً باهراً.

بدا الحب واضحاً بين كارلو وليان، وقد سرت أوليفيا عندما رأت كارلو، الشاب المتهور الذي تذكره، وقد أصبح ناضجاً بشكل كبير. كيف ستصبح الأمور إذا علم كارلو أن تالي ابنته؟ ابتلعت أوليفيا غصة خنقتها وأدركت أنه يجب عليها إبقاء أفكارها لنفسها وعدم إظهارها في تعابير وجهها. كيف ستكون ردة فعل ليان المغرمة تجاه حقيقة كهذه؟ هل ستتقبلها؟ هل ستشعر بالمرارة لأن طفل كارلو الأول لن يكون منها بل طفل امرأة أخرى؟ إن أوليفيا تدرك هذا الشعور جيداً إذ كان عليها مواجهته أيضاً.

ترك الجميع طاولة العشاء وتوجهوا نحو الشرفة لتناول القهوة على الشرفة المسقوفة المطلة على الحديقة الخلفية. أدارت أوليفيا الموسيقى الهادئة الرومنسية لتصدح بعذوبة في أرجاء المنزل، ثم صعدت إلى الطابق العلوي لتتفقد تالي التي تنام نوماً عميقاً. بدت جميلة بخديها المستديرين اللذين لوّنهما النوم باللون الزهري ورموشها الطويلة التي رسمت هلالين أسودين في وجهها.

لوهلة، تماوجت الذكرى في ذهن أوليفيا، فتماوجت الدموع في عينيها. إن شكوكها، التي أصبحت حقيقة، تثقل كاهلها. يا للتغيير الكبير الذي أحدثته هذه الطفلة البريئة بها وبجايسون الذي يحبها كثيراً! ثم إن تالي تحب جايسون، وأوليفيا لن تفعل أو تقول شيئاً يهدد هذه العلاقة. لكن، في

المقابل، هل تريحها نواياها الحسنة من الشعور بالذنب؟ إنها تعرف الموقف القانوني من الأمر. فلو أراد كارلو طفلته وكان قادراً على إعالتها فسوف تأمر المحكمة بأخذ تالي من جايسون، وسوف تنتج كارثة تدمر حياة الكثيرين.

راح عقلها يدور ويدور في دوائر؛ كارلو هو والد تالي، سلفادور وبيلا جداها، ويحق لهما أن يعرفا. أخيراً فكرت أوليڤيا أنها ليست سليمان الحكيم لتقيم ميزان العدل بنفسها.

أبقت الضوء خافتاً في الغرفة، وأغلقت الباب وراءها. لقد أكد لها جايسون أن تالي تنام بسهولة في أي مكان، وعلى أي حال، غرفة تالي تواجه مدخل المنزل ولن يزعجها أحد.

عندما عادت أوليڤيا إلى الشرفة المسقوفة التقت نظراتها بنظرات جايسون، فهزّت رأسها قليلاً مشيرة له أن كل شيء على ما يرام مع تالي. لم يذكر أحد منهما أن تالي في المنزل تنام بعمق في غرفة نوم في الطابق العلوي.

إلاّ أن القدر كان حاضراً، ولا يمكن نكرانه. أتراه كان يجلس طوال الأمسية إلى طاولة العشاء كضيف غير مرئي، ثم أظهر نفسه قبل نهاية الأمسية بوقت قصير؟

كان الجميع يقفون في قاعة المدخل يودعون بعضهم عندما جاءت تالي راكضة فجأة. نزلت الدرج مسرعة، وهرعت نحو جايسون الذي حملها بين ذراعيه، وسألها باهتمام: «ما الأمر يا حبيبتي؟».

خبأت تالي رأسها في كتفه وقالت: «حلمت حلماً مزعجاً يا أبي».

- هيا، هيا...!

هدأها جايسون بتمرير يده عبر خصل شعرها اللامع ثم تابع: «أنت بخير الآن يا طفلتي. أبوك هنا».

ثم أدار رأسه ناحية الآخرين وقال: «هذه ابنتي الصغيرة ناتالي. نناديها تالي... قولي مرحباً يا تالي».

أصدرت تالي صوتاً مضحكاً من حنجرتها، ثم رفعت رأسها فلمعت

عيناها الزرقاوان، وابتسمت ابتسامة آسرة ثم قالت: «مرحباً».

- كيف حالك يا تالي؟

أمسكت لوسي يد الطفلة وقبلتها، ثم تابعت قائلة: «أنا سعيدة برؤيتك».

اقترب الآخرون وبدأوا يرحبون بالطفلة التي ظهرت بشكل غير متوقع، ما عدا أوليڤيا وكارلو الذي بقي بعيداً.

سمعت أوليڤيا صوت تنفس كارلو الثقيل، وكأن الهواء يسحب باتجاهين: نحو رئتيه وصعوداً إلى دماغه.

لقد عرفها! فكرت أوليڤيا بذلك، فتسارعت دقات قلبها، وشعرت أن شعر رقبتها وصدغيها قد وقف. بعد لحظة سوف ينفجر الموقف...

- كارلو؟

التفتت ليان باسمة نحو خطيبها، ومدت يدها قائلة: «تعال وتعرف على تالي».

بقي كارلو واقفاً في مكانه، كأنه ملتصق بالأرض. لكن أوليڤيا لاحظت أنه كان يستند بيد واحدة إلى جانب كرسي.

حضرت أوليڤيا نفسها، وقوت عزيمتها تحسباً لحدوث ما كانت تخشاه، ألا وهو انفجار عاطفي مع فورة دم كارلو اللاتيني، ومطالبته بأجوبة. لكن بدلاً من ذلك، استجمع كارلو شتات نفسه، وخطا باتجاه المجموعة، وقال: «حسناً! تالي، كنت سأشعر بالسوء لو ذهبت دون لقائك».

ثم رفع يده، ومرر إصبعه برقة على خد تالي الأحمر.

بدأت معدة أوليڤيا تتلوى لدرجة شعرت معها أنها مريضة. إذ رغم نعومة الكلمات التي قالها، بدت أنها تحمل معها فألا سيئاً.

أجابته تالي بابتسامة كبيرة: «مرحباً سيد كارلو».

- مرحباً ناتالي.

لم يحاول كارلو سحب يده بل استمر يحدق في الطفلة وكأنهما وحدهما. ثم قال: «يا لك من طفلة جميلة!».

أضاء نور ساطع عقل كارلو المصدوم المشوش، فكل قطع الأحجية أخذت مكانها الآن. هذه الطفلة تبدو مألوفة وهو يعرف وجهها وطبعها وبسمتها الجميلة. إنها نسخة طبق الأصل عن أخته جينا حين كانت طفلة. صعقه التشابه الكبير، حتى إنه كاد يقع على الأرض.

بما أنه رأى التشابه، لماذا لم يره الآخرون؟ أم أن الناس رأوا ما أرادوه فقط؟

بدت ليان طبيعية، وبدا واضحاً أنها لم ترَ شيئاً بل كانت تبتسم بنعومة مثل النساء الأخريات.

أجال كارلو نظره بالموجودين ثانية فلاحظ أن لا أحد يبدو متضايقاً أو متسائلاً إذ تقبل الجميع أن تالي ابنة جايسون وميغان دافي. إلاّ أن أوليڤيا الجميلة تقف متوترة في الخلف، ووجهها يبدو جامداً كتمثال من الخزف دون تعابير، لكن عينيها تلمعان بعاطفة عرف كارلو أنها دليل خوف وترقب. أوليڤيا تنتظر انفجار القنبلة!

أوليڤيا تعرف. إنه مقتنع بذلك رغم أنه لا يعلم السبب. لا شك أن أوليڤيا اكتشفت السر. توقع كارلو أن تشعر بالغضب بسبب ما حصل لها، لكنه لم ير غضباً بل حزناً عميقاً في عينيها وقلقاً على جايسون والطفلة، وربما عليه أيضاً.. أوليڤيا لينفيلد، تماماً مثل عمها الراحل، تملك قلباً حنوناً، لكنه لم يجلب لها الخير.

تغلغل صوت ليان إلى أفكار كارلو المعذبة قبل ثانية من انفجاره الغاضب. ابتسمت ليان له ووضعت يدها على كتفه قائلة: «يجب أن نذهب، كارلو. إننا نبقي السيدة الصغيرة بعيدة عن سريرها».

لكن تالي بدت مهتمة بقول شيء آخر لكارلو الذي حاز على انتباهها.

- هل سأراك ثانية يا سيد كارلو؟

سألته وبدت آملة أن يقول نعم.

- لِمَ لا تسألين أباك؟

نظرَ كارلو بحدة إلى عيني جايسون، لكن الأخير لم يلاحظ شيئاً غير

عادي، بل ضحك قائلاً: «هاي، ما هذا؟ لقد سحرت ابنتي الصغيرة يا كارلو».

- أعتقد ذلك.

فهمت أوليڤيا معنى الانجذاب بين تالي وكارلو. إنه الحب من النظرة الأولى... وهذا ما يحدث عندما يرى الرجل طفله المولود للمرة الأولى...

* * *

- سارت الأمور على ما يرام.

قال جايسون ذلك وهو يحمل تالي المتثائبة ويصعد بها إلى غرفتها. ثم تابع: «فوجئت لأن كارلو عامل تالي بلطف. لقد تفاهما حقاً. إن كارلو الذي أذكره لم يكن يحب الأطفال. الآن بت أعتقد أنه سيكون والداً جيداً».

تنفست أوليڤيا بحذر قائلة: «نعم».

عندما وضع جايسون طفلته في فراشها كانت تغط في نوم عميق. أحنى رأسه النحاسي ليقبل صدغها ثم قال: «أخبرتني أنها حلمت بأمها. يؤسفني أن يكون ذلك جزءً من حلم مزعج».

ثم غيّر الموضوع قائلاً: «لقد استمتعت كثيراً هذه الليلة، وشعرت بالسرور لرؤية الجميع ثانية».

نظر جايسون بسرعة إلى أوليڤيا ورأى تعابير وجهها القلقة، فسألها: «ما بك؟».

- لا شيء.

وتابعت سيرها في الممر.

- هذا جواب نموذجي، لكن هناك مشكلة ما. أنا أعرفك جيداً.

اعترفت له بهدوء: «أنا أخاف دائماً أن يحصل أمر سيء».

بقي جايسون صامتاً للحظة وهو يعي صراعها العاطفي.

- أعتقد أن أسوأ ما سيحدث لنا قد حصل فعلاً، أليس كذلك، ليف؟

هزّت أوليڤيا رأسها قائلة: «الأمر معقّد أكثر من ذلك ياجايسون. أعلم أن ميغان لا تبالي إذا تسببت بالألم لأحد. ماذا سيحدث لو علمت أنك عدت إلى هاڤيلا؟ لقد عملت جهدها لتفرقنا في الماضي».

رفعت أوليڤيا رأسها ونظرت إلى جانب وجهه المنحوت، فأجابها جايسون بلطف: «لا يمكننا أن نبكي إلى الأبد على ما فقدناه، ليف. لا تستطيع ميغان فعل شيء. هي لن تأخذ تالي مني».

سألته بنبرة حزينة: «أنت تريد تالي أكثر من أي شيء، أليس كذلك؟».

- ما هذا السؤال يا ليف؟ إنها ابنتي. هل تقصدين أنني أحب تالي أكثر مما أحبك؟

سألته بحزن: «وهل تحبني؟».

وضع يده على كتفها موقفاً تقدمها وأدارها لتواجهه.

- أنا لا أخاف من قلبي يا أوليڤيا. أنا أحبك. أشعر أحياناً أن حبك يفوق قدرتي على السيطرة على نفسي، وكأنه أمر مكتوب في النجوم. طوال السنوات الماضية عانيت كثيراً من دونك. عندما فقدتك شعرت أنني فقدت العالم.

- والآن؟

حدّق جايسون في عينيها الجميلتين، ورأى حزناً كبيراً وحيرة وخوفاً ملحوظاً.

- لا أعتقد أنك قادرة على نسيان الماضي، ليف. لقد فقدت إيمانك.. فقدت ثقتك.. حدث شيء ما الليلة، لا أعرف ما هو، وأنت لا تريدين إخباري عنه. هل هو شيء تذكرته؟ أم أنه شيء يخيفك؟ ألا يمكنك أن تقولي لي؟

- جايسون، أرجوك!

توسلت إليه أوليڤيا، فأطلق جايسون ضحكة غريبة مختنقة وقال: «ليف، هل تستمتعين بتعذيبي؟ أنا مجنون بك... وأريدك بقوة. لم أنس علاقتنا القديمة وسعادتنا المطلقة. لم أنس وجهك أو صوتك أو حبك،

ليف. لقد عنى حبك كل شيء لي في العالم».

كادت أوليڤيا تبكي.. بل تصرخ، بينما الشيء الوحيد الذي فعلته هو الإفضاء بمخاوفها. عادت إلى حزنها المعتاد وقالت: «وأنا لم أتحرر منك يوماً».

تجمعت الدموع في عينيها، ما جعله يرغب في عناقها على الفور.

- قوليها. أنت تعلمين، ليف. أريدك أن تقوليها الآن.

علمت أنه لن يتحمل إثارتها لغضبه ثانية، فقالت بصوت مرتجف: «أنا أحبك أنت، وأريدك أنت يا جايسون ولا أحد غيرك».

اقترب منها وغمر جسدها الجامد بين ذراعيه، ثم همس في أذنها: «أنت فتاتي. كنت لي في الماضي وستبقين كذلك دائماً».

١٠ ـ لحظة الحقيقة

حبهما الكبير لم يعد مخبأ، واختفت كل أنواع الصراع وسنوات الفراق.

عانق جايسون أوليڤيا بشوق ولهفة، وبكل ما يعتمل في داخله من حب وإعجاب بها. أثار فيها عناقه أحاسيس رائعة كادت توقف قلبها عن الخفقان، ومشاعر عنيفة انتشلتها من الفراغ العميق الذي دفنت نفسها فيه، وحولت عقلها إلى بحر ساطع من الحب وجسدها إلى ريشة خفيفة لا تمكنها من التنفس.

جلسا بهدوء بين ذراعي بعضهما حيث راحا يتذكران أيام طفولتهما ومراهقتهما معاً، حيث نمت قصة حبهما تحت رعاية وناظري العزيز هاري.

بقيا كذلك إلى أن طلع فجر نهار جديد. غادر جايسون بينما أوت أوليڤيا بهدوء إلى فراشها إلى أن أخذها نوم عميق مرهق. لكنها استيقظت فجأة عند الساعة السابعة حيث فكرت فوراً بتالي. رفعت عنها الغطاء وارتدت رداءها المصنوع من الساتان، ثم أحكمت رباطه جيداً قبل أن تعبر القاعة لتتفقد تالي.

كانت تالي الصغيرة متكورة في فراشها، نائمة بعمق. فكرت أوليڤيا أنها ربما ستبقى نائمة ساعة أخرى بعد ليلتها المتقطعة. وعدها جايسون بالعودة ظهراً إذ عليه أن يتفقد بعض الأمور، وبعد ذلك يتناول ثلاثتهم الغداء معاً، وقد يذهبون في نزهة. قاومت رغبتها في العودة الى النوم ثانية. عادت إلى غرفتها، وارتدت ملابسها، ثم نزلت إلى المطبخ لتعد فنجاناً منعشاً من

القهوة.

* * *

عندما عاد جايسون إلى بيته وجد أن نور الشرفة مضاء رغم أنه متأكد أنه أطفأه قبل خروجه. استغرق لحظات قليلة ليوقف سيارته، قبل أن يصل إلى الشرفة ويدخل المفتاح في قفل الباب الأمامي. قبل أن يدخل إلى البيت بات متأكداً من وجود شخص ما في الداخل.

توقف في المطبخ ليلتقط مقلاة حديدية وهو يتمنى ألا يجبر على استعمالها.

- هيا، اخرج!

نادى جايسون بصوت قوي وهو يفكر أن المقتحم يمكن أن يكون متشرداً ما يمر في الجوار.

وقف خيال في القاعة؛ إنها امرأة شعرها قصير جداً مصبوغ بالأشقر، جسدها ذابل، وهي ترتدي إحدى قمصانه. بدت قدماها عاريتين، شعرها يقف بعيداً عن رأسها في تسريحة كالأشواك الحادة، ووجهها يدل بوضوح على نوع الحياة التي تعيشها.

قالت له: «مرحباً يا جايسون».

- ميغان!

شعر جايسون بالذهول لرؤيتها.

ابتسمت له بإغراء ثم سألته: «هل ستضربني على رأسي بهذه؟».

وضع جايسون المقلاة على طاولة المطبخ ثم سألها: «ماذا تفعلين هنا يا ميغان؟ كيف دخلت؟».

أدارت ميغان عينيها بدهشة مصطنعة، ثم قالت بوقاحة: «اللعنة يا جايسون! أعرف كيف أخلع قفلاً، لكنني لم أضطر لذلك لأن النافذة الخلفية كانت مفتوحة. رأيت صندوقاً في الظل! ووجدت أن التسلق سهل. نمت في سرير ناتالي، وأنا متأكدة أن الصغيرة لن تمانع. هل أنت من جعل الغرفة جميلة ومريحة؟ يبدو واضحاً أنك ما زلت أباً حنوناً».

- سألتك ماذا تفعلين هنا!

سألته بوقاحة: «أين كنت ليلة البارحة؟».

علمت أن جايسون ليس من النوع الذي يضرب النساء. تابعت تسأله: «هل تركت تالي مع المرأة العجوز كي تنال مرادك من غاليتك أوليفيا؟».

ووضعت سمّها في كلامها عندما قالت: «آه! نعم. أعلم أنها عادت، وأعلم أن لينفيلد مات. كما أعلم أنك تعمل في هافيلا، ويبدو أنك حققت ما تريد».

- لا شأن لك في هذا كله. نحن مطلقان، هل تذكرين؟

سألها جايسون ذلك ببرودة، فردت عليه قائلة: «ما زالت ناتالي ابنتي».

لمعت عينا جايسون حيث أجابها: «أنت لم تريديها، ولم تطيقي صبراً قبل أن تتخلصي منها. إن الهرة أم حنون أكثر منك».

مشت ميغان ببطء نحو غرفة الجلوس وكوّرت نفسها على أريكة، ثم رفعت قدميها ووضعتهما على الأريكة. بدا واضحاً من طريقة جلوسها أنها تريد إغواءه. قالت: «كيف تعلم أنني لم أتغير؟».

سمحت لقبة القميص الواسعة بالنزول لتكشف عن كتفها، وتابعت قائلة: «كيف تعلم أنني لا أريد الزواج ثانية؟ أريد استعادة طفلتي».

تكوّر فم جايسون بقرف وقال: «أنت تتحدثين إلى الرجل غير المناسب يا ميغان. بعيداً عن إمكانية زواجك، يبدو أن حياتك كانت قاسية مؤخراً. ما هذا؟ هل تريدين مالاً؟ لا أملك المال، ميغان».

- لكن غاليتك أوليفيا تملكه. ترك لها هاري لينفيلد الملايين.

- أنت آخر شخص في العالم تعطيه أوليفيا نقوداً في حال قررتِ استخدام الابتزاز. كما أنها لن تعطيني المال أيضاً لأنها ما زالت تشعر أنني خنتها طوال تلك السنوات.

- لكنك خنتها، أليس كذلك يا عزيزي جايسون؟

حملت ميغان صوتها وقاحة كبيرة، لكن جايسون استشعر في صوتها نبرة كاذبة فقال: «ربما أكون بطيء الفهم، لكن قد يكون الأمر كله كذبة».

حدّق جايسون بها منتظراً ردّها، فجلست منتصبة وأجابته بسرعة: «إنها الحقيقة يا صديقي. ولا تنسَ أنني كنت عذراء. ناتالي ابنتك».

تابع جايسون دراسة تعابيرها وعيناه اللامعتان تتفحصانها، ثم قال: «قد أقتلك لو علمت أنك كذبت عليّ يا ميغان».

- أنا لا أكذب عليك يا حبيبي.

عادت ميغان إلى جلستها المغرية وأضافت: «تالي ابنتك. بالمناسبة، أنت تبدو رائعاً ووسيماً أكثر من السابق».

أجابها ببرودة: «وأنت لست كذلك. أنت تضيعين وقتك في عرض مفاتنك».

هزّت ميغان كتفيها قائلة: «يا لحظّي السيء! لكن الأمر فعّال في معظم الأحيان. على كل حال، لا أريد أن آخذ الطفلة منك فأنا متأكدة أننا سنتوصل إلى حل مناسب».

- مثل ماذا؟

قفزت إلى ذهنه فكرة إجراء فحص الحمض النووي للتأكد من أبوته لتالي، لكنه صدم لهذه الفكرة إذ إنه يرفض أدنى شك في أنه ليس الوالد الحقيقي.

- أريد رؤيتها ثانية، صدقني.

حاولت ميغان التظاهر بالأمومة، لكن عينيها الباردتين فضحتاها. تابعت تقول: «الطفلة الصغيرة الحلوة! أعتقد أنها كبرت لتصبح رعباً حقيقياً. بدا الأمر كذلك عندما كانت صغيرة... لم أسمع في حياتي صراخاً مزعجاً كصراخها».

- أنا أسمي ذلك إثباتاً للوجود.

صحح جايسون كلامها باحتقار ثم تابع قائلاً: «كانت تحاول الدفاع عن نفسها ضد أم ظالمة مثلك».

أجابته ميغان بسخرية: «يا إلهي!».

- أليس في قلبك ذرّة حب لها؟ ألم تعلمك الحياة شيئاً؟

هزّت ميغان رأسها بعنف شديد وقالت: «علمتني الحياة أنني وحيدة، والحب الكبير في حياتي هو حبي لنفسي. عانيت من وقت عصيب وقد أظهر لي الرجال أنهم سفلة، باستثنائك أنت يا عزيزي جايسون. يجب أن أعترف أنك رجل حقيقي، وأعتقد أنني ما زلت أحبك. أيعقل هذا؟».

- أنت لا تحبينني يا ميغان، حتى إنك لا تعرفينني. إذا كنت تواجهين مشكلة فسوف أعطيك قليلاً من المال، وهذا كل شيء. لكن لا يمكنك البقاء هنا وتكدير صفو حياة تالي. لن أدعك تفعلين ذلك.

- لكنني أمها.. لم أنته منها ومنك بعد. أريد استعادة احترامي يا جايسون، فالرجل الأخير الذي كنت معه عاملني كحقيرة وقد طفح الكيل معي. ربما يكفيني ربع مليون دولار.

ضحك جايسون ضحكة قاسية وقال: «إذاً تريدين ربع مليون دولار كي ترحلي؟ وماذا يحدث عندما ينتهي المال؟».

أنزلت ميغان قدميها على الأرض وقالت بجدية: «أعدك أنني لن أطلب المزيد يا جايسون. سوف أسعى لأحصل على وظيفة في الساحل الذهبي، ربما في الكازينو. أنا أجيد التعامل بالمال والكازينو مكان راق، وقد أجد رجلاً وسيماً وغنياً».

- إذاً عليك إعادة شعرك إلى لونه الطبيعي واكتساب بعض الوزن. أنا لا أقول هذا كي أجرحك، بل لتبدئي بالاهتمام بنفسك. توقفي عن إقحام نفسك في مواقف خطيرة، هل اتصلت بوالديك؟

مررت ميغان يدها في شعرها الشائك بطريقة دفاعية وقالت: «اللعنة! ولماذا أفعل ذلك؟ إنهما لا يعبآن بي، ولم يهتما لأمري يوماً. ربما اهتمت أمي بي قليلاً، لكنها لم تملك القوة أمام أبي. كم أكرهه هو وشون».

- أنا آسف يا ميغان. أتمنى لو كانت حياتك العائلية أفضل، لكن عليك تحمل مسؤولية أفعالك. لقد رزقت بطفلة وحظيت بزوج وقف إلى جانبك...

لوّحت ميغان بيدها قائلة: «أعلم أنك حاولت يا جايسون، لكنك لم

تحبني».

ثم وضعت راحتي يديها على عينيها وقالت: «لماذا لم تحبني؟».

- بالكاد كنت أعرفك، فنحن لم نكن مقرّبين أبداً. لقد أحببت أوليڤيا. أحببت أوليڤيا دائماً.

- أوليڤيا! سئمت سماع اسمها.

- هل تكرهين أوليڤيا؟

- ما رأيك؟

ردّت ميغان عليه بغضب وأضافت: «الجميع يحبون أوليڤيا ولا أحد يحبني».

اقترب جايسون منها مشرفاً عليها وسألها: «إذاً، ماذا فعلت بشأن ذلك؟».

- ماذا تقصد؟

تراجعت ميغان إلى الوراء وألصقت ظهرها بالأريكة.

- هل خططت لما حدث تلك الليلة؟ تلك الليلة التي لا أتذكرها أبداً!

تنفست ميغان بصوت مسموع وقالت: «لا تكن مجنوناً. أنت أقمت علاقة معي يا جايسون. كنت وسيماً جداً ثم... نمت كأنك جذع شجرة هامد».

- بل كأنني في غيبوبة.

نظر جايسون إليها بغرابة، فردّت عليه ميغان بصوت متكسر: «لم أخطط لشيء يا جايسون بل حدث الأمر ببساطة. والآن، أنا أريد حياة لائقة وعليك أن تساعدني لأنك إذا لم تفعل..».

توقفت ميغان عن الكلام لتهدده ثم تابعت: «... أقسم أنني سآخذ ناتالي منك وأحطم قلبك».

* * *

عندما رنّ جرس الهاتف خشيت أوليڤيا أن ترد معتقدة أنه كارلو دي لوكا، ويريد التحدث معها. فبعد أن عانت من الحيرة ليلة أمس ووضعت

قلقها جانباً، عادت تلك المشاعر إليها الآن. التقطت السماعة وقالت: «مرحباً».

وكما توقعت، أجابها صوت كارلو دي لوكا الجذاب ببعض الحدة: «أوليڤيا، يجب أن أتحدث إليك. ستتصل بك ليان لاحقاً لتشكرك على ليلة أمس، لكن هذا ليس ما أريد التحدث إليك بشأنه. أعلم أن الأمر صعب، فأنت الجزء البريء من المشكلة كلها، لكنك تعلمين، أليس كذلك؟».

لم تخطىء أوليڤيا في فهم الاتهام الذي وصلها واضحاً عبر الهاتف، فهي تعلم بالتأكيد. لوهلة، أغمضت عينيها بشدة، وقررت أن تماطل.

- ساعدني كي أفهم يا كارلو. ما الذي تتحدث عنه؟

أجابها بصراحة: «أنا أتحدث عن ناتالي يا أوليڤيا. إنها نسخة عن أختي جينا حين كانت في مثل عمرها. هل تعلمين ما معنى ذلك؟ إنها ابنتي».

مضى وقت طويل قبل أن تتمكن أوليڤيا من إيجاد الكلمات. سألته أخيراً: «ماذا تريدني أن أقول يا كارلو؟ رأيت شبهاً بينكما طبعاً. لكنني لم أستطع قول شيء».

- أوليڤيا، إنها طفلتي. هل تفهمين معنى ذلك؟ إنها من لحمي ودمي. أمي وأبي جداها، وأختي جينا عمتها. هل لديك أدنى فكرة عن ردة فعل أمي عندما ترى ناتالي؟ ستشعر بالصدمة ثم بغضب شديد. ليس منك أو من جايسون بل من ميغان... تلك الكلبة الصغيرة الحقيرة الكاذبة!

نظرت أوليڤيا بسرعة حولها لتتأكد أن تالي ما زالت في الطابق العلوي تشاهد الفيديو. سمعت صوت كارلو وهو يئن قائلاً: «لماذا فعلت ذلك؟».

أجابته أوليڤيا بحزن وبصوت خافت: «ربما لم تعلم».

ردّ عليها كارلو مشمئزاً: «أوليڤيا، لا يمكن أن تصدقي ذلك! حسناً، لقد أقمنا علاقة أنا وميغان مرة واحدة... مرة واحدة فقط. لكني أؤكد لك أنها لم تكن فتاة ضعيفة أغواها زير نساء مثلي، وهي لم تكن عذراء. علمت ميغان ماذا تفعل تماماً».

- يبدو أنها لم تعلم، فقد حملت منك.

فوجئت أوليڤيا بنفسها تدافع عن ميغان. لكن كارلو ردّ عليها بنفاد صبر قائلاً: «اسمعي، أخبرتني ميغان أنها تتناول حبوب منع الحمل. أذكر ذلك جيداً لأنها أخبرتني أنها لا تريد أن تجد نفسها عالقة مع طفل، وقد أصرّت على أن الأطفال لن يدخلوا برنامج حياتها. من الواضح أن شيئاً ما سار بشكل خاطىء ذلك اليوم، وأراهن أنها لو عادت بذاكرتها إلى الوراء لعرفت السبب. ربما نسيت أن تتناول الحبوب يومها».

- ماذا تتوقع مني أن أفعل يا كارلو؟

سألته أوليڤيا وعقلها يحاول أن يفهم هذه التلميحات الجديدة. ردّ عليها كارلو دون تردد: «أريد أن نلتقي جميعاً. لقد التقيت بابنتي يا أوليڤيا، وأنا أؤمن حقاً أنه أمر مقدر حدوثه. والآن، لا عودة إلى الوراء».

- ماذا عن ليان؟

لم تستطع أوليڤيا السيطرة على صوتها الذي جاء حاداً. وتابعت تقول: «كيف ستكون ردّة فعلها تجاه ابنة زوج جاهزة؟».

ساد صمت قصير على الجهة الأخرى من خط الهاتف، ثم تحدث كارلو ببطء: «لن تكون سعيدة بالأمر. لكن لا أحد.. ولا حتى ليان.. سيوقفني. ثم إن ليان أخبرتني أنها وجدت ناتالي رائعة».

ردّت عليه أوليڤيا بسخرية: «لقد ظنّت أن تالي ابنة جايسون، وجايسون يظن أنها طفلته. ماذا عن جايسون يا كارلو؟ حاول أن تتذكره. لقد اعتنى بتالي مدة سبع سنوات بشكل رائع، فهل تتوقع منه الآن أن يدعها تخرج من حياته؟ وماذا عن تالي؟ هل فكرت بما سيحدث لها؟ إنها تحب والدها».

- أنا والدها يا أوليڤيا.

ردّ عليها كارلو بتأكيد وكأن هذا كل ما يجب أن يقال. وأضاف: «أنا أفكر بتلك الأشياء أيضاً. ألا تظنين أنني أفكر بالحزن الرهيب الذي سأثيره؟ لكنني قلت لك سابقاً إنني لن أعود إلى الوراء. ناتالي ابنتي، وهي جزء مني، بمجرد النظر إليها تعرفين أنها من عائلتي. كلنا ناضجون هنا،

ونهتم بمصلحتها، وعلينا أن نعمل على ذلك. يجب أن نجعل انتقالها أقل ألماً قدر المستطاع. لا أقترح أن نكون قساة ونتجاهل مشاعر جايسون، لكنني أستغرب كيف أن شخصاً بذكائه سمح لميغان بخداعه».

سألته أوليفيا باستغراب: «هل تقول إنها فعلت ذلك عمداً؟».

- طبعاً، فعلت ذلك عمداً.

أجابها كارلو باقتناع وأضاف: «يجب إن تعرفي أن ميغان كانت معجبة بجايسون. اللعنة! كل الفتيات أغرمن به. لكنه لم ينظر إلى أية واحدة عداك».

أجابته أوليفيا بضعف: «لا شك أنه أقام علاقة مع ميغان. . على الأقل مرة واحدة».

أطلق كارلو شتيمة بصوت خافت، قال: «لو لم أذهب بعيداً لأتابع دراستي لكنت تحدثت إلى جايسون وقلت له إن ميغان دافي كاذبة مخادعة. أعتقد أنه لم يمارس الحب معها إطلاقاً. تقول الشائعات إنه كان سكراناً لكني لم أرَ جايسون كوري سكراناً. من عادته أن يجلس معنا نحن الشباب لكنه لم يشارك في الشراب مرة. أعتقد أن أحدهم خدعه. كان في حفلة عيد ميلاد شون دافي، أليس كذلك؟ اللعنة! كيف اختلطتما أنتما الاثنان بهذه العائلة؟ لا شك أنها ميغان، أنا لا أبرئها من ذلك».

هزّت أوليفيا رأسها بعدم تصديق وقالت: «إذا كان ما تقوله صحيحاً، فقد قامت ميغان بعمل رهيب. لم تخبرك الحقيقة، وكذبت على جايسون، ودمرت خططنا أنا وجايسون. هل كنت لتتزوجها يا كارلو؟».

ردّ كارلو بصدق: «لا، ربما الأفضل لنا أن نبقى بعيدين. لكني كنت لأعطيها دعمي ودعم عائلتي. كنا لنجد حلاً . . أمي لا تتخلى عن حفيدتها ولا عني، مهما فعلت. لهذا السبب أقول لك الآن إننا يجب أن نجد طريقة لنجعل الأمر ينجح».

- وماذا عن ميغان؟ ألا ترى أنها مشكلة حقيقية؟ لدي تصورات سيئة حيال ميغان. ماذا لو عادت ثانية؟ ماذا لو رأت زاوية معينة لتثير المشاكل

مجدداً؟ إنها والدة تالي دون شك. ورغم التشابه الكبير وإحساسك العميق، أعتقد أننا بحاجة إلى فحص الحمض النووي لإثبات أبوتك بشكل قاطع.

- طبعاً، لكنني أعرف أننا لن نحتاج إلى ذلك. ربما تريدين بعض الوقت لتتحدثي مع جايسون. على فكرة، رؤيتكما معاً ليلة أمس لا تدع مجالاً للشك أنكما ما زلتما حبيبين وبحاجة لبعضكما. قد نرتب اجتماعاً غداً في أي وقت، لكننا يجب أن نقرر الأمر قبل أن نعود أنا وليان إلى بريزبن.

* * *

عاد جايسون قبل موعد الغداء بقليل. خرجت أوليفيا لملاقاته على الشرفة الأمامية، فصدمها مظهره ولونه الشاحب. أخذت نفساً عميقاً إلى أن أوشكت رئتاها على الانفجار قبل أن تسأله: «ما الأمر؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

أمسكت يده ورفعت رأسها لتحدق في وجهه، وأضافت: «جايسون، ما الأمر؟».

شعرت أنها عادت بالزمن إلى الوراء، إلى ذلك اليوم الذي أخبرها فيه أنه لن يستطيع الزواج منها.

- لديّ خبر سيء يا ليف. . . لقد عادت ميغان.

شعرت أوليفيا بصدمة لعدة لحظات بحيث عجزت عن الكلام. وأخيراً، جاء انفجارها العنيف: «طبعاً عادت! هي لن تذهب بعيداً أبداً. إنها تريد تدمير الأمور بيننا إلى الأبد. ماذا تريد؟».

أصدر جايسون ضحكة جوفاء ارتجت داخل صدره وقال: «ماذا تعتقدين؟ تريد مالاً».

لمعت عينا أوليفيا الفضيتان وقالت: «هل تقصد أننا إذا أعطيناها مالاً ستدعنا وشأننا؟».

- هذا ما قالته!

- ومن يصدقها؟ لقد كذبت مراراً ومراراً. . . من يضمن عدم عودتها

بعد أن تأخذ المال؟ لا أحب فكرة أن يبتزني أحد.

- إنها لا تبتزك أنت، ليف. إنها تبتزني أنا.

- أين هي الآن؟

شعرت أوليفيا أن أنفها ينفث غيظاً.

أدار جايسون رأسه وقال: «إنها في السيارة. طلبت منها أن تبقى فيها».

- هل تملك الجرأة لتأتي إلى هاڤيلا؟ لتظهر نفسها لي؟ لديّ كلام أقوله لزوجتك السابقة يا جايسون.

ثم أضافت بغضب: «لماذا جلبتها إلى هنا؟».

أجابها جايسون بنبرة قاسية: «إنها تطالب برؤية تالي».

- وأنت سمحت لها؟

ردّ جايسون بخشونة: «يمكنها إلحاق ضرر كبير يا ليف. إنها والدة تالي وهي تريد استعادتها. المحكمة تعامل الأمهات بطريقة ألطف مما تعامل الآباء، ولا أعتقد أنني في موقف يسمح لي بأن أرفض لها طلباً. لا أريد إزعاجك أكثر مما أنت منزعجة، ولا أشعر بالارتياح للمسألة كلها، لكنني أريد أن أسمع رأي تالي بالموضوع. إذا أرادت رؤية والدتها سآخذهما معاً إلى منزلي».

شعرت أوليفيا بغضبها يتصاعد ثانية حين قالت: «لقد أخبرتني الليلة الماضية يا جايسون أنك تحبني وأنك لم تتوقف عن حبي، وأنك تريدنا أن نبقى دائماً معاً، وأننا هذه المرة سنتوج حبنا بالزواج. فهل تقول لي الآن إن ميغان دافي، سبب البلاء كله، موجودة هنا في سيارة المزرعة؟».

سألها جايسون بانزعاج: «ماذا تريدينني أن أفعل؟ هل أتجاهلها؟ إنها والدة تالي يا ليف. مع أنها أم رهيبة، لكنها أم.. وهي ممثلة جيدة. بإمكانها التمثيل ببراعة لإقناع المحكمة على الأقل للمشاركة في رعاية تالي».

حاولت أوليفيا السيطرة على غضبها. قالت لجايسون: «لكن هل سترحل بعيداً إذا أعطيناها المال؟ كم تريد؟».

تصلب فك جايسون الذي قال: «تريد ربع مليون».

ضحكت أوليفيا وقالت: «هذا مبلغ صغير تسأل عنه الصغيرة ميغان دافي. لمَ لم ترفع المبلغ إلى مليون كامل؟».

- أنت معتادة على المال، ليف. إن ربع مليون يعتبر ثروة بالنسبة لميغان. ثم إنني لا أملك مليوناً أدفعه لها.

شعرت أوليفيا بغضب كبير فقالت: «لا! لكنني أملك المبلغ، وهي تعرف ذلك. إنها تعرف أننا عدنا لبعضنا وتعلم أن هاري غني وقد ورثته. هل كانت بانتظارك عندما عدت إلى المنزل؟».

تنهد جايسون بعمق وأجابها: «نعم».

- في بيتك؟ يدهشني أنها لم تكن في سريرك.

حذّرها جايسون قائلاً: «دعي عنك هذه الأفكار يا ليف».

لكن يبدو أن أوليفيا لم تسمع التحذير، إذ كانت تغلي غضباً حين قالت: «عاد أسوأ كابوس إلى حياتي. لا يمكنني أن أقف هنا وأتحدث عن الموضوع. سأتحدث مباشرة إلى ميغان دافي. اذهب إلى تالي فهي تجلس على الشرفة المسقوفة، وتحاول تركيب قطع صغيرة لتشكل لوحة. أرادت أن تنهيها قبل مجيئك».

- ماذا ستقولين لها يا ليف؟

بدا القلق على جايسون، فأجابته أوليفيا: «دع الأمر لي».

ذكرته نبرة صوتها الواضحة المصممة بهاري حين أضافت: «هذه مواجهة أنتظرها منذ زمن بعيد!».

أوقف جايسون سيارته الرباعية الدفع في ظل أشجار البونسيانة وهي في أوج تفتح أزهارها، بينما أمواج من الزهور المتساقطة تستلقي على العشب وعلى غطاء محرك السيارة.

- اخرجي، ميغان.

نادتها أوليفيا بصوت تستعمله لإخضاع التلاميذ المشاكسين وتابعت تقول: «سنمشي قليلاً».

نزلت ميغان من السيارة. كانت ترتدي ثوباً صيفياً قصيراً أصفر دون أكمام مزيناً بأزهار برتقالية، وشعرها مصبوغ بالأصفر ومصفف بطريقة لم تناسب جسدها الصغير النحيل، وهي تنتعل صندالاً أصفر في قدميها.

- إذاً، كيف تسير الأمور أيتها الأميرة؟

سألتها ميغان بقلة احترام أظهرت جانباً من شخصيتها لم تره أوليفيا سابقاً. تفحصتها أوليفيا بعينين باردتين تشعان بالشفقة وقالت: «في الماضي ظننت أنني أحبك يا ميغان. لم يحبك أحد، وهذا الأمر وحده كان يجب أن يثير ريبتي، ظننت أن الحل لحياتك التعيسة في البيت يكمن في وجود صديقة معك، حتى إنني طلبت منك أن تكوني إشبينتي في زفافي. كنت أكثر جمالاً في الماضي يا ميغان. ماذا فعلت بنفسك؟ يبدو واضحاً أنك لا تأكلين جيداً وتسريحتك التي تشبه القنفذ لا تناسبك إطلاقاً».

رفعت ميغان رأسها لتنظر إلى أوليفيا الأكثر طولاً، وتوهج وجهها حين قالت: «حسناً! سأغيرها. لا يمكن لنا جميعاً أن نبدو مثلك. أنا هنا لرؤية ابنتي. هل لديك اعتراض؟».

ابتسمت لها أوليفيا وأجابتها: «اشتقت إليها، أليس كذلك؟».

- لست حقيرة تماماً.

- آه! بلى، أنت كذلك.

أكدت لها أوليفيا ذلك بصوت هادىء، وأضافت: «يدهشني أنك لا ترين ذلك، فأنت كاذبة كبيرة. هل تعلمين ما معنى ذلك؟».

- لست مضطرة إلى تحمل كلامك.

حاولت ميغان إظهار الاحتقار في صوتها لكنها لم تفلح.

- بل ستتحملين ذلك يا ميغان. يجب أن تفعلي. لقد اقترفت خطأ كبيراً بمجيئك إلى أرضي، وهذه مسألة جدية. ستكونين محظوظة لو فررت من نتائجها. تالي ليست ابنة جايسون.

فجأة، علا الشحوب وجه ميغان، فاعترضت وهي تمسك بمعدتها وكأن أوليفيا طعنتها: «بل هي ابنته!».

صححت لها أوليفيا بعذوبة: «هي ليست ابنته. تالي هي ابنة كارلو دي لوكا، وأنت تعلمين ذلك تماماً».

بدا الرعب واضحاً على ميغان حين قالت: «أثبتي ذلك».

- هذا أمر سهل جداً يا ميغان.

تابعت أوليفيا سيرها على الممر الذي تظلله أشجار البونسيانة المتشابكة من كلا الجانبين وهي تقول: «أنت لا تفهمين ذلك، صحيح؟ كل شخص أعرفه تقريباً قد سمع بفحص الحمض النووي. إنه يحمل معلومات جينية، ويخبرنا تماماً من هو والد تالي. هذا إذا أردنا دليلاً قاطعاً. في الحقيقة، تبدو تالي نسخة عن أخت كارلو الصغرى، جينا، حين كانت في مثل سنها. أليس غريباً كيف تظهر رابطة الدم فوراً؟ أنا أشفق عليك يا ميغان، أشفق عليك حقاً. انتظري إلى أن تسعى السيدة دي لوكا خلفك. يا إلهي! قد تضطرين إلى دخول المستشفى. لقد كذّبت مراراً، وعلى الجميع، أليس كذلك يا ميغان؟ آمل فقط أن يفهم الجميع. أريد أن أقول إنني أملك كل الحق في شد شعرك، لكنني لن أفعل ذلك. أراهن أن جايسون لم يقم علاقة معك أبداً».

- بل فعل!

خرج صوت ميغان مليئاً برعب حقيقي. هزّت أوليفيا رأسها وقالت: «لا، ميغان. لا أظن ذلك. أيّام كذبك قد ولّت. لقد أعماني مظهرك الهادىء، فلم أرَ حقيقتك. أردت التسبب لي بالأذى، وأردت جايسون لنفسك.. هذا كل شيء. وعندما واتتك الفرصة نفذت عملك الشرير. جايسون لم يكن سكراناً بل مخدراً، ولا شك أنك أنت من وضع له المخدّر بيديك الصغيرتين القذرتين».

- اسكتي، اسكتي.. حسناً! لم أفعل ذلك.

حدّقت ميغان بها بعناد فتابعت أوليفيا تقول: «إذاً، إنه شون أو أحد أصدقائه الكريهين. لكنك اغتنمت الفرصة يا ميغان، وقد أصبح جايسون على وشك الوقوع بين ذراعيك المنتظرتين. إنه خطيب امرأة أخرى، لكن

إلى الجحيم بذلك! كل شيء جائز في الحب والحرب. ومن حسن حظك أن عمتك كانت خارج البلدة، فتمكنت من أخذ جايسون إلى بيتها، صحيح؟ ثم التصقت به في السرير. كل شيء فيك كريه، والأمر الوحيد الذي أنا متأكدة منه هو أن جايسون لم يقم علاقة معك يومها. أطلب من الله أن يسامحني لأنني شككت به. لم يكن جايسون قادراً على القيام بذلك، ليس لأنه كان مخموراً أو مخدراً بل لأنه مخلص لي، فقد كنّا على وشك الزواج. عندما اكتشفت أنك تحملين طفلاً في أحشائك، قررت خداع الفارس الشهم، جايسون كوري، وجعله يتزوجك. وجدت أنها فرصة العمر وهي لن تتكرر ثانية. لا داعي للتفكير بالمسكينة السخيفة أوليڤيا، قد تغضب كما تفعل كل النساء، وهي لن تتوقف لتقول: «مهلاً، أريد دليلاً». إذ قررت سلفاً أن الرجل الذي أحبته مذنب. أنا ألوم نفسي على ذلك يا ميغان».

- يجب أن تلومي نفسك فعلاً!

ابتسمت ميغان ابتسامة صغيرة مليئة بالحرارة، وتابعت: «أنت قررت أن تكوني غبية، فمن أنا لأقف في طريقك؟ لمَ أبالي بأمرك؟ أنت لم تضطري إلى مواجهة المشاكل التي عانيتها. أتقولين إن جايسون لم يقم علاقة معي قبل زواجنا؟ حسناً! لقد أقمنا علاقة بعد ذلك، فهو زوجي كما تعلمين يا عزيزتي أوليڤيا وليس زوجك».

قالت ميغان ذلك وأدارت عينين معبّرتين نحو أوليڤيا التي وقفت دون حراك رغم أنها أرادت بشدة أن تصفع ميغان لتزيل ابتسامة الرضى عن وجهها.

- لا شك أنك شعرت بالنصر، لكن كم دام ذلك؟ ربما لفترة خمس دقائق خلال إتمام مراسم الزواج. أراهن أن جايسون لم يمض يوماً واحداً دون التفكير بي، ولا شك أنك شعرت بسوء شديد جداً حين تأكدت أنه لن يهتم لأمرك أبداً.

احمر وجه ميغان بشدة ورجعت خطوة إلى الوراء وقالت: «نعم، حسناً! أنت أيضاً لم تحصلي عليه وقد تأكدت من ذلك».

نظرت ميغان أمامها بقلق فقد قادتها أوليڤيا تحت أعمدة صخرية نمت عليها عرائش كرمة ذهبية، وتدلت مشكّلة نفقاً كثيفاً. ظنت ميغان أن هذا النفق لا نهاية له. لا سيّما أن أوليڤيا لم تكن تعاملها بعذوبتها المعتادة، فتجمدت مكانها وسألتها: «هل سنمشي أبعد من هذا؟».

أجابتها أوليڤيا بهدوء وهي تكسر أحد الأغصان: «سوف ترحلين يا ميغان ولن تعودي أبداً. ستحصلين على وظيفة جيدة ومحترمة في مكان ما، جرّبي تازمينيا فهي بعيدة بما فيه الكفاية».

ضحكت ميغان ضحكة جوفاء وقالت: «أنت تظنين أن ذلك سيحصل، صحيح؟ لقد اكتشفت الأمر أخيراً في حين أن جايسون لا يعلم شيئاً حتى الآن. هذا أمر مثير للشفقة، لكنه يحب تلك الطفلة وهو يعتقد أنها ابنته. أنت لم تخبريه عن سرّك الصغير، أليس كذلك يا أوليڤيا؟ إنك تحبينه ولا تريدينه أن يتألم. يمكنك العيش مع واقع أن تالي ليست ابنته كل دقيقة من النهار، لكنك لن تخبري جايسون، فهو يرى العالم من خلال الطفلة، وقد يقتله خبر أنها ليست ابنته. كل ما أطلبه هو عش صغير لأعيش فيه وأتدبر أمري. أنا لست حقيرة غنية مثلك، وليس لديّ عم عجوز أحمق يحبني ويترك لي ثروة. يمكننا التوصل إلى اتفاق يا أوليڤيا، فأنت ذكية وستقومين بالأمر من أجل جايسون».

- ومن أجل تالي. آه! لقد نسيت... أنت لا تهتمين لأمر ابنتك الصغيرة.

تنفست ميغان بصوت مسموع، وهي تشعر أنها تضيع في ذلك النفق الكثيف من الزهور الفواحة، فيما الضوء يتخلل الأغصان المرتعشة للنباتات المتعرشة. أصرّت تقول: «اسمها ناتالي وقد سميتها تيمناً بممثلة أحبيتها. حسناً! أنت تحبين ناتالي، وهذا أفضل».

تابعت أوليڤيا سيرها بتمهل، رغم أنها لاحظت عدم ارتياح ميغان. سألتها: «ماذا عن كارلو دي لوكا؟ ألا تعتقدين أنه يحق له أن يعرف بأبوته للطفلة؟».

امتلأت بشرة ميغان ببقع حمراء، وأجابت: «انسي أمر كارلو. ما لا يعرفه لن يضره، وهو في سيدني على كل حال».

- بريزبن. لقد انتقل إلى بريزبن.

لم تحب ميغان السير عبر المدخل ذي القنطرة إلى الحديقة المسيجة، إذ بدا الأمر وكأن المكان خرج من آثار معبد قديم. وقالت: «بريزبن بعيدة آلاف الأميال».

وتابعت تقول وهي تهز كتفيها النحيليتين: «إنها بلاد كبيرة».

- لكن العالم صغير. ماذا عن والديه وأخته؟ ماذا سيحدث عندما يرون تالي؟ سوف يرون رابطة الدم فوراً.

- هذا ما تقولينه أنت! تساءلت كثيراً في الماضي متى سيعلم جايسون الحقيقة، لكن الأمر لم يحدث. اسمعي، لا أريد أن أمشي أكثر، فالمكان مخيف. قد يغرق المرء في تلك البرك.

- يبدو واضحاً أنك لست من محبي الطبيعة والبحيرات. لكن المساحات المائية والشرفات المسقوفة ضرورية في الطقس الحار الرطب. أعتقد أنك متوترة لأن ضميرك يؤنبك، وكل هذا الجمال هنا يغلبك. مع ذلك، لا حاجة لأن تشعري بالتوتر مني فأنا لا أريد إغراقك.

- أراهن أنك تتمنين ذلك.

ارتجفت ميغان وشعرت بالارتياح حين رأت الشمس.

- صدقيني يا ميغان، لا أريد أن أضع يدي عليك.

أجابتها أوليڤيا بصراحة ثم أضافت: «لكنني لا أتحدث بالنيابة عن آل دي لوكا طبعاً، فلا أحد يمكنه التنبؤ بتصرفاتهم حين يلاحظون الشبه».

انفجرت ميغان، ولأول مرة بدت فعلاً متوترة وغاضبة. لقد هاجمت أنفها روائح آلاف الأزهار المتنوعة التي، ولسبب ما، جعلتها تصبح هستيرية. فقالت: «الناس يرون ما يريدونه فقط. خذي جايسون مثلاً، إنه رجل ذكي فعلاً في أشياء كثيرة، لكنه يعتقد أن عيني تالي تشبهان عينيه».

ثم ضربت بأصابعها على جبهتها وأضافت: «إنهما عينا كارلو».

- طبعاً هما عينا كارلو، كما أنهما عينا جينا دي لوكا. والآن أفكر أنهما عينا سلفادور، والد كارلو. العينان الزرقاوان مدهشتان في وجه متوسطي.

- لا حاجة لأن يروها.

أظهرت ميغان وقاحتها بشكل واضح، وأضافت: «غيري مظهرها قليلاً، بإمكانك فعل ذلك».

ردّت عليها أوليڤيا بسخرية وهي تتوقف قرب مقعد أنيق: «وهل تجري لها عملية جراحية أم تضع لها عدسات لاصقة؟ ستظهر الحقيقة يا ميغان».

عضت ميغان على شفتها بقوة وقالت: «اجعلي المبلغ مئة ألف فهو يكفيني لأتدبر أموري، وأعدك أنني لن أزعجك ثانية».

- ولِمَ لا تقولين ذلك لكارلو دي لوكا؟

رفعت ميغان رأسها الصغير والخوف يطل من عينيها: «ماذا تقصدين؟».

- أقصد أن كارلو دي لوكا يعلم يا ميغان. إنه يزور والديه بمناسبة الميلاد وقد حضر إلى هنا الليلة الماضية للعشاء. في البداية، كانت تالي تنام بعمق في الطابق العلوي لكنها استيقظت بسبب كابوس حين كان كارلو على وشك المغادرة، فنزلت لتبحث عن جايسون، لكنها وجدت أباها الحقيقي. تعرف إليها كارلو فوراً بشكل لا يصدق.

- لا!

مرّت رعشة عبر جسد ميغان النحيل، فتمسكت بمقعد الحديقة لتسند نفسها ثم سألت أوليڤيا: «ماذا قال؟».

نظرت أوليڤيا إلى ميغان بإشفاق، وأجابت: «قال: «انتظري إلى أن تعلم أمي بالأمر». ميغان، بيلا دي لوكا امرأة صارمة، ولا أتمنى أن أكون المرأة التي تزعجها. ستغضب منك كثيراً، وربما تغريها نفسها باستعمال سكين المطبخ معك».

شعرت ميغان بالاختناق وقالت: «هل أنت مجنونة؟ أنا لن أراها».

- ولا كارلو؟

- هذا محال! لا أريد أية مشاكل. لقد عشت حياة قذرة لا تعرفين عنها شيئاً.

ثم لوّحت بذراعيها وابتسمت قائلة بوقاحة: «أنتِ لديك هذا المكان العظيم وهو مثل مملكتك الصغيرة... علامَ حصلت أنا؟».

- ربما حصلت على ما تستحقينه.

استأنفت أوليڤيا السير وتابعت تقول: «دعيني أسألك، هل تريدين رؤية تالي؟ أنا لن أمنعك بالتأكيد، فلست وحشاً قاسي القلب».

ردّت ميغان هازئة: «لا! أنت قديسة، لكن تذكري أن القديسين هم الأسوأ في اكتشاف الخداع، وقد خدعتك أنت وجايسون لسنوات طويلة. لا أبالي بمبادراتك اللطيفة يا أوليڤيا، فأنا لا أريد رؤية ناتالي. لا أعلم ماذا أقول لها، وعلى كل حال لا أشعر بأي عاطفة نحوها».

تنهدت أوليڤيا بعمق وقالت: «يصعب عليّ تصديق ذلك. أعتقد أن سبب عدم قدرتك على حب طفلتك يعود إلى المشاكل التي واجهتها في طفولتك. على كل حال، أنت الخاسرة يا ميغان، فتالي طفلة رائعة وهي ذكية وجميلة ومسلية. سأخبرك شيئاً آخر. كارلو يريدها».

ارتخى فك ميغان الصغير، إذ لم تتوقع سماع ذلك. هزّت رأسها وقالت: «إنه لا يريد ذلك.. هذا غير ممكن!».

- ليس الجميع مثلك يا ميغان. إن الرباط الذي يجمع الأهل بالولد هو الأقوى على الإطلاق، وكارلو يريد ابنته.

بدت ميغان وكأن عالمها كله على وشك أن ينهار عليها، فقالت بصوت مخنوق وقد بدت تعابيرها ذابلة أكثر من السابق: «ماذا عن جايسون إذاً؟».

- آه! نعم. جايسون ورقتك الرابحة. في الواقع، لم تعد لديك سلطة الابتزاز. جايسون لا يعلم الحقيقة الآن، لكنه لسوء الحظ سيعرفها. سأقول لك ماذا سأفعل، هذا هو آخر معروف أفعله لك، وأنا واثقة أنك لن ترفضيه. سوف أكتب لك شيكاً بقيمة عشرة آلاف دولار وهو مبلغ لا

تستحقينه فعلاً، لكنك ما زلت والدة تالي وأنا أشعر ببعض الشفقة نحوك. ربما لو عشت طفولة مختلفة لما أصبحت على ما أنت عليه اليوم. كل ما عليك فعله هو أخذ الشيك وركوب قطار أو طائرة أو حافلة لترحلي من هنا اليوم وليس غداً، إذ قد أغير رأيي غداً. سيكفيك مبلغ عشرة آلاف إلى أن تجدي وظيفة، وسوف تنجحين إذا عملت بجدية. من جهة أخرى انسي قصة الشعر الشائكة هذه، ولتكن التسريحة بسيطة تلائمك، وأعيدي شعرك إلى لونه الطبيعي. في المقابل، لن تتفوهي بكلمة إلى جايسون عن كون كارلو هو والد تالي الحقيقي حين يقلك إلى محطة القطار أو المطار. سأعطيك نقوداً تغطي رحلتك إلى بريزبن، وسوف تقررين وجهتك الأخيرة من هناك. إذا قلت شيئاً لجايسون فسوف أعرف من ردة فعله وألغي الشيك. لا أعلم لماذا أقول هذا يا ميغان، لكني أتمنى لك الخير. لكن لا تعودي أبداً!

تركت أوليڤيا ميغان واقفة قرب السيارة بينما عبرت المرج عائدة إلى البيت. رأت جايسون جالساً على كرسي خيزران بيضاء صغيرة وقدماه ممدودتان أمامه وعيناه محدقتان في الأفق.

- أين تالي؟

سألته أوليڤيا باستغراب، ونظرت حولها باحثة عن الطفلة. أجابها جايسون باقتضاب وهو يقف: «إنها تختبىء في الطابق العلوي. إنها لا تريد رؤية أمها، وأنا لن أكون من يجبرها على ذلك».

- ومن قال إنك ستجبرها؟

نظر إليها جايسون وظل من الاستغراب يغطي عينيه الزرقاوين اللامعتين، وقال: «أنت مليئة بالمفاجآت يا أوليڤيا. كان يمكن لميغان أن تغرقك بقصة مثيرة للشفقة. استغرقت وقتاً طويلاً قبل أن أتقبل واقع أنك طلبت منها أن تكون إشبينتك، لكنني تفهمت الأمر واعتبرته من امتيازات العروس. لا أحب أن أقول هذا حقاً، لكن ميغان سم قاتل».

- أرجوك لا تلقِ باللائمة عليّ يا جايسون، فأنا أعرف أنك منزعج.

- من سألوم إذاً بحق السماء؟ تالي هي الشيء الوحيد الجيد في حياتي منذ

أن تركتني. والآن عادت ميغان بشعرها الشائك البشع لتبتزني. لا يمكنني السماح لتالي بالذهاب معها، إذ عليّ رعايتها، فأنا أعرف ميغان. ستفعل أي شيء لتغيظنا. اللعنة! قد تبيع تالي لو عرفت أنها ستنجو بفعلتها.

نظرت أوليفيا إليه وقالت: «لن تفعل ميغان شيئاً. تركتها واقفة قرب السيارة، وهي لا تريد رؤية تالي على كل حال. هل أنت متأكد أنها هي من أنجبت تالي أم أن حملها كان وهمياً؟».

- تعرفين أن الأمهات لسن مجبرات على حب أولادهنّ يا ليف. لم تكن ميغان مهيئة لتلعب دور الأم، كما أنها لم تملك القدرة على ذلك. منذ أن ولدت تالي رأتها ميغان عدواً، ولم تتواصل معها أبداً. أراهن أن ميغان حاولت ابتزازك أيضاً؟

- لست مجنونة تماماً.

- لا! لكنك رقيقة المشاعر بشكل كبير، إلا معي.

- ماذا تقصد؟

- أنت لم تريدي رؤيتي ثانية، هل تذكرين؟

ثم استدرك قائلاً: «آه! اللعنة. آسف لأنني قلت هذا. انسي الأمر. لقد أزعجتني ميغان بشكل كبير».

فكرت أوليفيا أن إزعاجاً أكبر في طريقه إلى جايسون. قالت له بلهجة ناعمة: «لقد وضعت لها حداً. تمكنت من إنزال المبلغ من مئتين وخمسين ألف دولار إلى عشرة آلاف على شرط أن تغادر فوراً».

حدّق جايسون بها وسألها: «وهل قبلت؟».

- لم أسمع أي اعتراض منها.

ثم رفعت حاجبيها وأضافت: «أعتقد أننا في مرحلة ما من حياتنا نصبح أذكياء».

أرجع جايسون رأسه إلى الوراء وضحك ثم سألها: «وكيف نعرف أنها لن تعود عندما تنتهي العشرة آلاف؟».

أجابته أوليفيا مازحة: «ربما أخبرتها أنني سأستأجر قاتلاً ماجوراً إذا

فعلت».

- ليف، عزيزتي، سوف تستفيد من الأمر بطريقة مدروسة.

هزّت أوليفيا رأسها وقالت: «لا أعتقد ذلك. أنا ذاهبة الآن إلى البيت لأكتب الشيك. سوف أعطيها أيضاً نقوداً لتسافر بالحافلة أو القطار أو الطائرة أو حتى المقعد الخلفي لدراجة نارية إلى أن تصل إلى بريزبن، وهذا كل شيء. إذا كنت لا تمانع يا جايسون، بما أنها زوجتك السابقة، أريد منك أن توصلها بالسيارة خارج هاثيلا إلى أي مكان تريده».

استقرت عيناه عليها لفترة طويلة، ثم قال: «لا داعي للمبالغة في لعب دور السيدة العظيمة، فمظهرك يشرح كل شيء. سوف أردّ لك كل ما تعطينه لها».

- شكراً لك يا جايسون. إن التهذيب هو أحد الأشياء التي أحبها فيك..

سارت أوليفيا بسرعة نحو المدخل، ثم توقفت عند الباب لتقول: «بالمناسبة، بينما أنا في الداخل سأجد تالي وأقول لها إنها حرة لتفعل ما تريده تماماً».

- خذي كل الوقت الذي تريدينه.

ألغيت نزهة الغداء لأن جايسون أخذ ميغان في سيارته. جاءت تالي لتقف قرب أوليفيا وهي تشاهدهما يذهبان من وراء ستارة غرفة المكتب.

سألتها أوليفيا وهي تفكر أنها قد تعطي أي شيء لتجعل أمها تعيش ثانية...

- لماذا رفضت رؤية أمك يا حبيبتي؟ ألأنها كانت تضربك؟

ردّت عليها تالي بتأكيد مدهش: «ظننت أنها سوف تقتلني».

هزّت أوليفيا رأسها بقوة، وقالت: «لا، لا! أمك امرأة محبطة. آه! ربما لا تعرفين معنى هذه الكلمة».

- بلى، أعرف.

ونظرت إلى الأعلى نحو أوليفيا منتظرة استحسانها وقالت: «إنها تعني

حزينة».

- إلى حد ما، نعم. أنت فتاة ذكية.

ردّت تالي بفخر: «هذا لأنني أقرأ كثيراً».

- إذاً أنت تملكين متعة ستدوم مدى الحياة يا تالي، والناس الذين لا يحبون القراءة محرومون منها. ما أريد قوله هو أن الحياة دمرت أمك عندما كانت في طور النمو. صحيح أنها تسببت بالأذى لغيرها من الناس لكنها تأذت أيضاً، وهذا ما جعل الحياة صعبة بالنسبة لها. يجب أن نشعر بالأسف تجاهها يا تالي.

عارضتها تالي بشكل مؤدب: «لا بأس يا ليف، والدي يحبني، وجدتي تحبني، وأنت تحبينني، وأنا أحبكم كثيراً».

ثم تابعت تقول: «هل تعتقدين أن السيد كارلو سيأتي لرؤيتي؟ أحببت وجهه، وقد تحدث معي بلطف».

- هو أحبك أيضاً يا تالي.

أجابتها أوليڤيا بهدوء، ثم أضافت: «كارلو هو اسمه الأول، ودي لوكا هو اسم عائلته وهو يتحدر من أسرة إيطالية».

ردّت تالي بسعادة: «إنه مثلي. كما أنه يملك عينين زرقاوين جميلتين مثل أبي، وصوته جميل حقاً، لكنه ليس وسيماً مثل أبي. لا أحد بوسامة أبي، إلاّ أنه لطيف أيضاً».

أمسكت أوليڤيا بيد تالي وسارت معها باتجاه الهاتف فهي وعدتها من قبل بأن تتصل بوالدة داني لتأتي وتأخذها إلى منزلهم. سيكون التحدث مع جايسون أسهل إذا كانت تالي بعيدة. أوليڤيا لن تسمح لجايسون بالذهاب إلى اجتماع مع كارلو دي لوكا دون أن يعرف ما الذي ينتظره.

١١ ـ طفلة ووالدان

رنّ جرس الهاتف، فركضت أوليڤيا لترد معتقدة أنه جايسون، لكن المتحدثة كانت ليان، خطيبة كارلو التي اتصلت لتشكرها على الأمسية الجميلة. بدت سعيدة ومرتاحة، وبدا واضحاً أن كارلو لم يخبرها بسره حتى تلك اللحظة. تلقت أوليڤيا اتصالات شكر أخرى، ووافقت على لقاء صديقتها لوسي على الغداء في البلدة يوم الأربعاء.

اعترفت لها لوسي قائلة: «لقد ابتهجت حقاً عندما رأيتكما منسجمين أنت وجايسون. الكل سعداء، والطفلة لطيفة أيضاً. كيف استطاعت ميغان التخلي عنها؟ يا لقسوتها! على كل حال، أراك يوم الأربعاء يا ليف. أنتظر لقاءك بفارغ الصبر».

لم يعد جايسون عند الساعة الثالثة، وبدأت أوليڤيا تشعر بالقلق، لا سيّما أنها ظنته سيعود في الساعة الثانية على أبعد تقدير. هل طرأت مشكلة ما؟ هل رفضت ميغان الذهاب في آخر لحظة؟ هل ستقوم بمحاولة أخيرة لتحصل على مال أكثر؟

استراحت أوليڤيا عندما عاد جايسون بعد عشر دقائق. ركضت نازلة الدرجات لتقابله وقالت: «قلقت عليك كثيراً. أين وصلتما؟».

نزل جايسون من السيارة فبدا طويلاً، ذا منكبين عريضين، ووركين نحيلين، ووسيماً جداً في قميص بيضاء وجينز.

- كان علينا إحضار أغراض ميغان أولاً، ثم إنها أرادت أن تأكل فاستغرق الأمر حوالى الساعة. أنزلتها في موقف الحافلة إذ لم تشأ أن تصرف النقود لشراء بطاقة الطائرة، ثم انتظرتها إلى أن رحلت، وخلال هذا

الوقت داهمتها موجة من الغضب وبقيت عابسة طوال الوقت. مسكينة ميغان! فهي عدوة نفسها، ومهما فعلت لها لن يكفيها.

- لا يهمني، طالما أنها لن تعود.

- لا تعتمدي على ذلك. من جهتي لم أرَ أي ناحية جيدة في ميغان. هيّا بنا ندخل فأنا بحاجة إلى فنجان قهوة.

وضع ذراعه حول خصرها وقادها نحو البيت ثم سألها: «أين تالي؟».

أراحت أوليڤيا رأسها على كتفه وقالت: «ذهبت إلى منزل داني. جاءت أخت داني وأقلتها، وقد بدت عليها خيبة الأمل حين لم ترك».

- أحياناً يتحول الافتتان إلى حزن وأسى. آمل ألا تثرثر تالي حول موضوع ظهور أمها ثانية.

ابتسمت أوليڤيا بأسف وقالت: «الثرثرة جزء من شخصية تالي في هذه المرحلة من حياتها. بعض الأولاد يكتمون الأسرار لكن تالي تظهرها كلها».

- إنه تأثير نونا..

تنهد جايسون ثم أضاف: «أحب جدتي كثيراً لكنني لا أستطيع إيجاد علاج لتصرفها الدراماتيكي، وقد ورثت عنها تالي ذلك».

طلبت أوليڤيا منه:

- اجلس هنا في الظل.

وعندما وصلا إلى الشرفة أضافت: «سأحضر لك القهوة وربما أنضم إليك. كان نهاراً حافلاً».

- أعتقد أننا لم ننل قسطاً كافياً من النوم، كن سهرتنا كانت رائعة! أحبك يا ليف، وأحب وجهك الجميل، وفوق كل شيء روحك الجميلة.

ثم استوى جالساً وقال: «بالمناسبة. هناك أمر يشغل بالك. ما هو؟».

للحظة ألقت حذرها جانباً فبان في عينيها حبها وألمها من أجله.

- هناك أمر يجب أن نتحدث بشأنه يا جايسون.

ضاقت عيناه الزرقاوان وقال: «يبدو أمراً جدياً. لن تقولي إنك ستتركينني ثانية. لا يمكنك ذلك».

- ليس الأمر كذلك يا جايسون.

- لقد أرحتني. إذاً، لا شك أنه أمر يتعلق بتالي.

استدارت أوليڤيا قائلة: «سأحضر القهوة، ثم نتكلم».

عبس جايسون وقال: «أفضل أن نتحدث الآن. ما الذي يقلقك إلى هذه الدرجة يا ليف؟ هل تعتقدين أن أمراً ما سيحزنني؟ دعيني أؤكد لك أنني لن أدع أحداً يحطم حياتنا ثانية».

وقف جايسون وجذبها إلى ذراعيه ليخفف حزنها، مريحاً ذقنه على قمة شعرها الأسود الحريري.

- آه! جايسون...

بدأت الدموع الحبيسة تجري على خدي أوليڤيا، فتراجع جايسون بقلق وسألها: «هل الأمر بهذا السوء؟ ألم أقل لك إن أسوأ شيء قد يحصل لنا حدث وانتهى؟ أنت تحبينني، أليس كذلك؟».

- لم أتوقف عن حبك أبداً.

رفعت أوليڤيا عينيها الغارقتين بالدموع إليه، وأضافت: «لأنني أحبك كثيراً أخاف أن أؤلمك».

- ليف، ما دمت أنا لك وأنت لي، ما الذي سيؤلمنا؟

لم يعد هناك مفر. ضغطت إصبعها على فمه كي لا يقاطعها: «أتمنى لو لم أكن الشخص الذي سيخبرك بالأمر يا جايسون، لكن لا أحد يمكنه القيام بالأمر غيري».

- إذاً، هيا، قولي، ما الأمر؟

اسودت ملامحه، لكنه أضاف: «لا تخافي. أعتقد أنني أعرف ما ستقولينه على أي حال».

وبإدراك مفاجيء، قفز قليلاً إلى الوراء. ربما لأنه رأى شيئاً في عيني أوليڤيا الخائفتين، فقد بدت نظراتها غريبة.

elromancia.com

- تالي قد لا تكون... ابنتي؟

حتى وهو يقول هذا، حاول جايسون دفع الفكرة بعيداً.

- أنا آسفة جداً يا جايسون.

قالت أوليفيا ذلك بصوت خافت كئيب. صرخ جايسون ووجهه يتقلص من شدة الألم: «لكنني ربيتها، وأنا أحبها. ظننت أنها تحمل عيني الزرقاوين. يا لي من غبي! أخبرتني نونا مرة أن عيني تالي مختلفتان عن عيني. هل كانت تحاول أن تحذرني؟».

هزّ جايسون رأسه وكأنه يطرد الأفكار السوداء.

- لقد كذبت عليك ميغان يا جايسون، إذ علمت طوال الوقت من هو والد تالي. لقد اعترفت لي أخيراً أنك لم تقم علاقة معها تلك الليلة. كان يجب أن أثق بك.. وأنا أتحمل جزءاً من الملامة في هذه المشكلة الرهيبة.

سألها جايسون بصوت ثائر: «من هو والد تالي؟».

حاولت أوليفيا أن تسيطر على صوتها حين أجابته: «فكر بالعينين... الزرقاوين... عينين زرقاوين غريبتين».

ثم أحاطت جسده بذراعيها كالدرع.

اختفى اللون تماماً من وجه جايسون الممتقع وقال بصوت كئيب: «لا تقولي إنه دي لوكا!».

- لقد تعرف إليها فوراً.

- كما فعلت أنت. لقد عرفت السر، فلماذا انتظرت حتى الآن لتخبريني؟

أخذت أوليفيا نفساً عميقاً وسوّت كتفيها، ثم قالت: «أرجوك، لا تحكم عليّ يا جايسون. لم أعرف ماذا أفعل، فهي مشكلة عاطفية كبيرة، وقد علمت مدى الحزن الذي ستسببه لك ولتالي».

- نعم، تالي!

قال ذلك بفظاظة ثم أبعدها عنه واستدار مبتعداً وأضاف: «يا له من ميلاد مجيد. إذاً لا تتوقفي يا ليف. هيا، تابعي. يبدو أنك أذكى مني.

كارلو تعرف على ابنته ويريد استعادتها، هل هذا صحيح؟».

رمقته أوليفيا بنظرة تفيض تعاطفاً، وقالت: «نعم يا جايسون، إنه يريدها. لكن ألا يمكنك أن تفهم ذلك؟».

ارتجف جسدها كله عندما أطلّت من عينيه نظرة تتهمها بالخيانة.

- إذاً مهمتك هي إخباري الحقيقة.

- نعم.

سحبت من جيبها فوطة مسحت بها عينيها وتابعت تقول: «يريدنا كارلو أن نجتمع معه. لم أشأ أن تذهب إلى أي اجتماع دون أن تعرف ما الذي ينتظرك».

ردّ جايسون بمرارة: «يمكنني دائماً الاعتماد عليك يا ليف. فقط من باب الفضول... كيف تشعرين حيال الأمر؟».

أجابته بتلعثم: «لا أعرف ماذا تقصد».

- حسناً! لست مجبرة على القبول بابنة زوج جاهزة.

جرحها كلامه بعمق مع أنها تدرك تماماً أنه يتعذّب. قالت له: «سأنسى أنك قلت هذا الكلام يا جايسون، رغم أنني لا أعلم كيف استطعت قوله. تالي طفلة عزيزة عليّ، قد وجدت سهولة في إدخالها إلى قلبي. والآن، أشعر أنني منهارة بسببكما».

ردّ عليها بمرارة: «حسناً! لقد عرفت تالي لمدة أطول مما عرفتها أنت، وربيتها كأنها ابنتي. لن أتقبل واقع أنها ليست ابنتي إلى أن أحصل على دليل ثابت. لا أريد رؤية دي لوكا أيضاً حتى يحصل على ذلك الدليل».

سألته أوليفيا بحزن عميق: «وعندما يحصل على الدليل؟».

- لا أستطيع تقبل الأمر بعد يا أوليفيا، وربما لن أتقبله أبداً. لكن تالي هي اهتمامي الأساسي في هذه القضية. كيف يمكن أن يقتلعها من جذورها؟ ألا يبالي بها؟

أجابته أوليفيا بهدوء: «إنه يبالي يا جايسون. كارلو ضحية مثلك أيضاً، فقد سلبت منه ميغان مرافقة تالي في سنواتها الأولى. فهو لم يحضر ولادتها

www.elromancia.com

وخطواتها الأولى وكذلك كلماتها الأولى. إنه يحبها، وهو والدها. لقد توحد معها كلياً وعرفها ما إن رآها».

- قولي لي كيف... كيف عرف ذلك؟

نظرت إليها عينا جايسون باحتقار لما تقوله، فردت أوليفيا ببساطة: «إنها من لحمه ودمه».

- هذه كل ما يهم إذاً، أليس كذلك؟

سألها جايسون بمرارة وهو يبدو منهاراً تماماً، فامتلأت نفس أوليفيا بالتعاطف معه. نظرت إليه بعينيها المكللتين بأهداب سوداء، وقالت: «أنا أتفهم مشاعرك يا جايسون، ويمكنني أن أرى أنك تشعر أنني خنتك بطريقة ما. أنا لم أخنك، لكني لاحظت أن المسألة برمتها ستكون مؤلمة لك. من خانتك هي ميغان دافي».

- إذاً، الآن بتنا نعرف لماذا رضيت بمبلغ صغير.

ثم ضحك ضحكة كئيبة وأضاف: «خافت من البقاء ومواجهة المشاكل».

- أعتقد أنها خافت من بيلا دي لوكا أكثر من أي شيء آخر.

- وتالي، ألا تعرف شيئاً؟

قال ذلك واضعاً رأسه بين يديه.

- هل أنت بحاجة لأن تسأل؟

رفع رأسه وسألها: «متى ستكون هنا؟».

- عند الرابعة والنصف.

أجابته أوليفيا وهي تدرك أن الثمن سيكون أكبر بكثير مما توقعت.

نزل جايسون الدرج وهو يقول: «سآخذها وأذهب إلى البيت. أنا بحاجة إلى وقت للتفكير».

* * *

خلال سلسلة الاجتماعات الطويلة المرهقة، والنقاشات التي أنهكت أوليفيا، وجعلت رأس جايسون يدور كأنه يعيش وسط كابوس، بدا

موقف تالي تجاه حقيقة نسبها مثيراً للدهشة. قالت بحماسة وهي تتسلق لتجلس على ركبة جايسون: «الآن أصبح عندي والدان. سيكون الأمر ممتعاً، فأنا ابنتكما وابنة كارلو في آن».

قال لها جايسون بلطف: «أعتقد أنك لا تعلمين معنى ذلك يا تالي. هذا يعني أنك ستذهبين للعيش مع كارلو وليان بعد زواجهما الذي أصبح قريباً. ثلاثة أشهر هي مدة قصيرة».

اتفق الجميع على فترة ستة أشهر لانتقال تالي تدريجياً.

- آه! أنا لن أعيش معهما.

هزّت تالي رأسها وأضافت: «سأعيش معك ومع ليف. سوف تتزوجان أيضاً، صحيح؟ سأكون الزهرة المتنقلة».

أدارت أوليفيا رأسها ونظرت إلى الخارج نحو الحديقة المضاءة، إذ بدا على وجه جايسون أن لا شيء أبعد عن ذهنه من فكرة زواجه.

تابعت تالي كلامها وهي تنقل نظراتها من جايسون إلى أوليفيا، ثم تنظر إلى جايسون ثانية وكأنها تطلب الإذن منهما: «طبعاً سأحب الذهاب والبقاء مع كارلو وليان. قال كارلو إنه سيشتري بيتاً كبيراً جميلاً لنا، وسوف يشتري كتباً وأسطوانات وفيديو ودراجة لي، فهو يعتقد أنني ذكية كفاية لأتعلم استعمال الكمبيوتر».

- هذه أشياء كثيرة تجعلك سعيدة.

قال جايسون ذلك وهو يمسد ضفائرها ثم سألها: «وكيف هي علاقتك مع عائلة كارلو؟ أمه، وأبوه، وأخته جينا؟».

ردّت تالي بحماسة مفرطة: «رائعة! إنهم إيطاليون مثلي. وقد أرتني عمتي جينا صوراً لها حين كانت صغيرة وهي تشبهني تماماً. هناك أمر غريب وهو أن والدة كارلو تشبه نونا كثيراً، فهي تلوح بيديها طوال الوقت، وأنا أحبها. بدأت بالبكاء عندما رأتني، فقلت لها لا بأس، لا بأس. قالت إنها لن تسامح أمي».

ردّ جايسون: «هذا يجعلنا اثنين!».

www.elromancia.com

- أعتقد أنها سوف تتخطى الأمر بنجاح.

علّق جايسون بعد فترة حين وضعا تالي في سريرها، وجلسا على الشرفة الباردة التي تضيئها النجوم. ثم أضاف بحزن: «الأطفال يتأقلمون بسرعة».

- الحمد لله على ذلك.

تنفست أوليفيا بعمق وقد قررت في نهاية اليوم أن أكثر من يهم هي تالي. أضافت تقول بهدوء: «لكن المشكلة هي أنها تظن نفسها ستعيش هنا يا جايسون».

- لديها عائلة الآن يا ليف.

قال جايسون ذلك محاولاً التركيز على تلك النقطة المهمة وأضاف: «إنهم جاهزون ليحبوها».

شعرت أوليفيا بقلبها يتكسر حزناً لأجله فقالت: «إنهم يعرفون ما فعلته لأجلها يا جايسون، وهم ليسو أشخاصاً قساة، ولن يأخذوها بعيداً عن حياتك».

هزّ جايسون كتفيه رفضاً، ثم قال: «لا أبالي البتة بما يفعلون. كانت لدي طفلة، والآن لم تعد معي».

- يبدو من كلامك أنك لن تنجب أطفالاً غيرها.

أصبحت أوليفيا على وشك الانهيار، ولا شك أن ذلك بدا في صوتها لأن جايسون تصرف بسرعة قائلاً: «ليف، حبيبتي! سامحيني».

حبه لها أنساه ألمه. إنه متيّم بحبها، ولم يكن باستطاعته تجاوز هذا الكابوس لولاها. اقترب منها، وركع أمامها على ركبة واحدة، ثم نظر إلى وجهها الذي يعكس ضوء القمر وقال: «لقد وقفت بجانبي وساندتني عندما كان مزاجي سيئاً، وأنا أخذت تعاطفك معي كأمر مسلم به. سامحيني... إنها الصدمة والشعور بالضياع.. أعرف أنها ليست نهاية العالم. ستكون تالي بخير، فكارلو هو والدها ورباط الدم يجمعهما. إنه يحبها وكذلك عائلته التي هي عائلة تالي. أنا كنت والداً مؤقتاً، اهتم بها لفترة من حياتها».

انهمرت الدموع بغزارة من عيني أوليفيا التي قالت: «لقد قمت بعمل

رائع يا جايسون، فقد لعبت دور الأب والأم معاً. بسببك نشأت تالي طفلة سعيدة، وستستمر طفلة سعيدة، إذ سنسعى من أجل ذلك كلنا».

- نعم.

تمتم جايسون موافقاً وهو يفكر أن الألم لن ينتهي. أضاف: «كلنا نحبها، لكن علينا التعامل مع هذا الوضع غير العادي آخذين بعين الاعتبار مصالح تالي أولاً. أعتقد أنها ستحظى بعائلتين لبعض الوقت، كما في حالات انفصال الأب والأم. ستبقى معنا أحياناً، ومع كارلو وليان أحياناً أخرى، وكلنا سنهتم بها كي تشعر بالاستقرار. آمل أن تتقبل الوضع الجديد دون مشاكل، فهي ما زالت طفلة».

- على الأقل نحن نعلم أنها أحبت كارلو واعتادت عليه فوراً.

- لقد ساعد الرباط العائلي على إزالة العوائق الأخرى. كان الأمر ليصبح مخيفاً لو أن ميغان تركتها وكارلو لا يريدها، إذ لن تنمو تالي بشكل طبيعي وهي تعلم أن والديها سيئان ولا يريدانها.

- لا!

اندفعت الكلمة إلى فم أوليفيا التي أضافت: «علينا أن نفكر بالمستقبل لأن إحساسها بالانتماء مهم جداً. يجب أن تعرف تالي من تكون».

جلس جايسون على الأريكة بجانبها وقال: «يبدو أن مهمتي انتهت وعليّ أن أعيد تالي إلى أبيها الحقيقي».

لمست أوليفيا ذراعه برقة وقد شعرت بألمه، وقالت: «هذا لن يوقف حبها لك يا جايسون ولا حبك لها. أخبرتني تالي أنها فعلاً لها والدان وقد بدت فخورة بذلك. لديها جدتان وجد جديد يدعى «سلفا دور ببطنه الكبير» كما أن لديها عمة وأولاد عمة وسيمين وأشخاصاً مليئين بالحيوية وجاهزين ليحبوها. كارلو لن يدعها تحزن، وأي والد يتفهم ذلك».

تجعّد حاجبا جايسون الذي قال: «التفهم شيء لكن تقبل الأمر يأخذ وقتاً طويلاً. أنا لست حزيناً لأنها ستذهب إليهم فهم عائلتها ولا يمكنني لومهم. ميغان هي من سببت هذه المشاكل وهي دون قلب. لكن لا تقلقي،

ليف...».

حاول جايسون أن يبتسم ثم أضاف: «... سأتعلم العيش مع هذا، امنحيني بعض الوقت فقط. يمكنني العيش مع أي شيء طالما أنت معي».

أمسك يد أوليڤيا وقبّل أطراف أصابعها، ثم قال: «أريد أطفالاً.. أطفالنا نحن.. هذا كان هدفنا، وقد خططنا لذلك في الماضي. لا أحد منّا أدرك حقيقة ميغان. على كل حال، لننسى ميغان، وآمل ألا نذكر اسمها إلى الأبد. أنا أحبك يا ليف، كيف شككت بذلك؟».

بدأت الدموع تحرق عيني أوليڤيا، فوقفت فجأة ومشت إلى زاوية الشرفة حيث ركّزت نظرها على النجوم المتلألئة. سار جايسون إليها ووقف خلفها ثم أدارها بين ذراعيه وقال: «أحبك».

ضمّها إلى صدره وعانقها برقة، فيما انسكبت من عينيها دموع صادقة.

- آسف لأني كنت غاضباً جداً. سامحيني.

مسدت أوليڤيا خده بيدها وقالت: «لا شيء أسامحك عليه يا جايسون. وكما تقول تالي كل شيء سيكون على ما يرام».

- عديني بذلك.

نظر جايسون باهتمام إلى عينيها، فارتجفت ابتسامة على ثغرها وقالت: «نحن قويان جداً، أليس كذلك؟ رغم كل التعاسة التي سببتها لنا ميغان، كافحنا لنعيش».

- لقد عشنا، نعم، لكن اشتياقنا لبعضنا لم ينطفىء بل بقي مشتعلاً. قولي لي إننا سنتزوج قريباً جداً.

فهمست أوليڤيا: «ألم تقل إنها مسألة وقت؟».

عمق المشاعر في همستها دخل صميم قلب جايسون الذي لم يعد يستطيع كبت مشاعره فقال: «لقد عدت إلي، وأنا كنت بانتظارك. هاري، لاعب الشطرنج البارع، حركنا إلى أماكننا».

ثم رفع رأسه نحو السماء وقال: «هاري، يا صديقي، أنا حزين لموتك. أعتقد أنك علمت أن حلمنا قد تحقق أخيراً».

ثم نظر إلى أوليڤيا وقال: «أنت حبي الأول يا ليف. أنت أول فتاة عانقتها، ويلزمني آلاف السنوات لأنساك. أنت المرأة الوحيدة التي أحببتها، وسأحبها إلى الأبد. سنبقى قرب تالي ونجعل حياتها تنجح مع آل دي لوكا لأنهم أناس طيبون. الحياة تستمر، وأنا وأنت نتشارك مصيراً واحداً. ثم سيكون لنا ستة عشر ولداً».

ولأول مرة منذ أيام انفجرت أوليڤيا ضاحكة وسألته: «ستة عشر؟».

- لقد سمعتني جيداً!

ثم أرجحها جايسون في خطوات رقص قطعت أنفاسها، بعد ذلك توقف وأحنى رأسه تجاهها قائلاً: «ستة عشر».

ثم عانقها بقوة وذراعاه القويتان تسندان ظهرها. دفنت أوليڤيا أنفها في صدره وراحت تتنشق رائحته. سمعت صوت ضربات قلبه المدوية كأنها تقول لها: «أوليڤيا، أنا أنبض من أجلك».

الخاتمة

مضت سنتان من الفرح والهناء، وها هم الجميع يتوافدون اليوم للاحتفال بمناسبة خاصة، وهي حفلة تعميد طفل آل كوري. تدفق نور الشمس عبر زجاج النوافذ الملونة الطويلة في الكنيسة، فأرسل إلى الداخل طيفاً من ألوان الجواهر اللامعة.

وفي آخر القاعة المزينة بتلال من الأزهار البيضاء النقية، وقفت أم الطفل الجميلة بوجهها الملائكي الذي يشع سعادة محتضنة طفلها المحبوب بين ذراعيها، في حين وقف بجانبها زوجها الوسيم، والد الطفل كوري.

بدت تالي سعيدة، ووجهها يشع بالفخر. في هذا اليوم الرائع الذي انتظرته طويلاً تألقت بثوب أبيض جميل صنعته لها نونا خصيصاً لحفلة التعميد، مع ربطة شعر من الساتان الأزرق زيّنت شعرها الأسود اللامع الذي وصل طوله إلى منتصف ظهرها. إنه يوم خاص في حياة تالي، وهو يوم تعميد الطفل هاري مايكل الكسندر كوري ذي الشعر الحريري الذي يشبه لونه لون الدرّاق، وصاحب العينين الزرقاوين.

بدا هاري الصغير رائعاً، وقد أحبته تالي منذ أن سمحت لها أوليفيا بحمله في أول زيارة لها إلى المستشفى بعد ولادته. إنه قريبها المبجّل! وقد قالت لأوليفيا إنها ستهتم به وترعاه دائماً. إنها فخورة به! نظرت تالي إلى الأب لوك وهو يصب مياه التعميد على رأس هاري الصغير الحبيب، لكن هاري لم يبكِ أبداً.

في الواقع، بدا مستمتعاً بما يجري وقد أصبح منظره كالعصفور الصغير، مما دفع تالي إلى كبت ضحكة كادت تفلت منها.

طبعاً لو أن تالي ناضجة كفاية لطُلب منها أن تكون عرّابة هاري، إذ إن الناضجين فقط يتولون هذا الأمر كما أخبرها جايسون. أبوها ولي هما ثاني أفضل شيء في حياتها.

فكرت تالي برضا أنها أصبحت فرداً مهماً في عائلتها الكبيرة، وشعرت بدفء وقوة يدي والدها على كتفيها.

تألقت تالي خلال حفل زفاف جايسون وليف، إذ كانت الفتاة التي تحمل الأزهار، وقد أرادت ذلك بشدة. كان زفافاً جميلاً في هاڤيلا مع الكثير من الصور الجميلة التي احتفظت بها للذكرى. كما أنها حملت الأزهار في زفاف والدها ولي منذ شهور قليلة، وقد بقيت مع جايسون وليف بينما ذهب أبوها ولي في شهر العسل إلى بانكوك. شعرت تالي بالسعادة لأنها محاطة بكثير من الأشخاص الذين يحبونها.

والآن أصبح لديها هاري الصغير، وهي محظوظة في رؤيته يكبر. اشترى والدها منزلاً قريباً من هاڤيلا، وأصبح يعمل في المستشفى الذي ولد فيه هاري، إذ لم ترد تالي الذهاب للعيش في بريزبن، فقد كرهت الفكرة لأنها تريد البقاء قرب جايسون وليف، وزيارتهما كلما أرادت ذلك. طلب منها والدها ألا تقلق، ووعدها بأنه سيعود إلى بلدته للاستقرار فيها. أبوها رجل لطيف، إلاّ أنه لا يعلم أنها تفضل جايسون عليه في سرها، ولو أنه طلب منها العيش معه في بريزبن لهربت منه، لكنه لم يسبب لها الحزن. كما أن لي فتاة مسلية.

نظرت تالي إلى هاري مايكل ألكسندر بين ذراعي ليف، وهو يصدر أصواتاً ويلوح بيديه الصغيرتين وكأن دوره قد حان ليباركهم جميعاً. أليس الأطفال أجمل المخلوقات في العالم؟ فرحت تالي لأن جايسون وليف سميا ابنهما الصغير تيمناً بالعم هاري، فهي تتذكر كم كان العم هاري لطيفاً معها عندما كانت صغيرة، وقد أخبرتها ليف أن العم هاري هو من جمع شملها بجايسون ثانية. ولأنها طفلة ذكية وتنمو بسرعة، فهمت كيف أن جايسون ليس والدها الحقيقي بل كارلو، لكنها تحب جايسون بالطريقة

ذاتها، لأنها تعتبره الأب الذي أرسله الله لها ليعتني بها.

على بعد خطوات قليلة من المجموعة جلست نونا رينانا التي ارتدت أبهى حلّتها. قالت إن الأمر مليء بالدراما! إنها تحب الدراما، كما تحب الثرثرة هذا ما قالته لها نونا إيزابيلا، لكن نونا إيزابيلا لا تختلف عنها كثيراً. ومن حيث تقف، استطاعت تالي رؤية الدموع تجري على خدي نونا رينانا. لا بد أنها دموع الفرح، فحفلة تعميد هاري جميلة ومؤثرة. نونا رينانا هي من خاطت ثوب التعميد الحريري الأبيض الجميل لهاري وكذلك ثوب تالي. يا لها من امرأة ذكية!

بدا النهار رائعاً والسماء زرقاء والأشجار في باحة الكنيسة بدت جميلة بشكل لا يصدق، ومزينة بأزهار كثيرة لدرجة أنها حجبت السماء. عندما انتهت مراسم التعميد توجه الجميع نحو سياراتهم كي يعودوا إلى هاڤيلا من أجل وليمة صباحية أصرّت العرابة روبن على تحضيرها. رغم زواجها السعيد والآمن من بن رايلي صاحب مزرعة محلية، تتابع روبن عملها في مجال تحضير الطعام بموافقة زوجها ومساعدته أحياناً. لقد وجد بن دافعاً جديداً في الحياة، ولعب دوره جيداً كأب لستيفن الذي فرح كثيراً لمشاركته في حفل التعميد.

ركضت تالي نحو والدها وجذبت يده قائلة: «أبي، هل تسمح لي أن أعود في سيارة جايسون وليڤي؟ أظن أن هاري يريدني أن أكون معه».

- طبعاً يا حبيبتي!

ابتسم كارلو لابنته الصغيرة، وراقبها وهي تنسحب خلسة. لم يتوقع أحد أن تتأقلم تالي بهذه السرعة والمرح مع نقطة التحول الكبيرة في حياتها. طبعاً، لما كان الأمر كذلك لو أنه أصرّ على متابعة مهنته في بريزبن، لكنه يدرك أن عليه القيام ببضع تضحيات، وقد نجح الأمر بشكل مميز.

اندمج كارلو ثانية مع المجتمع، ووالداه فرحا جداً لأنه عاد إلى دياره، كما أنه هو وليان يتابعان عملهما بنجاح. لكن هذا لا يعني أن الجميع لم يعملوا جاهدين لتخطي التوتر العاطفي الذي سببته مرحلة الانتقال.

وكارلو يشعر بالامتنان دائماً تجاه جايسون وأوليڤيا بسبب رقتهما وتضحيتهما وتفهمهما. كما أنه يشعر بالفخر لأنهما طلبا منه هو وليان - التي أصبحت صديقة لأوليڤيا - أن يكونا عرابي الطفل، وهي مهمة قربتهم جميعاً من بعضهم البعض.

- إنه رائع، أليس كذلك؟

- آه، نعم!

ابتسمت أوليڤيا لوجه تالي الصغير الذي يشع فرحاً وهي تجلس في المقعد الخلفي للسيارة التي يقودها جايسون.

قالت تالي بسرور: «لديه شعر جايسون الأحمر وأتوقع أن تكون لديه عينان زرقاوان مثله».

ثم ربتت بلطف على رأس الطفل وهي تدلله وتغني له: «يا هرّي الصغير، يا إجاصة رائعة...».

- لن ننتظر طويلاً لنعرف.

ردّت أوليڤيا بذلك وهي مأخوذة بابنها الصغير. إنها تحبه كثيراً لدرجة جعلتها تشعر بالفخر لإنجاب طفل رائع كهذا. وقد شعرت هي وجايسون بالسعادة لأن الله منحهما صبياً كاملاً معافى.

ردّ جايسون مؤكداً: «طبعاً ستكون لديه عيناي الزرقاوان. أرى أنه يحبك يا تالي».

أشرق وجه تالي بابتسامة سعيدة وقالت: «هذا ما يبدو، فهو يمسك بإصبعي ولا يريد تركه. سألتقط له صوراً كثيرة، هل تسمحان لي؟».

أجابتها أوليڤيا قائلة: «طبعاً يا حبيبتي. يجب أن نلتقط لكما عدة صور معاً».

- آه، رائع!

وتلألأت عينا تالي الزرقاوان بالفرح. رفعت يد هاري الصغيرة السمينة وقبلتها، فاستمتعت برائحة الأطفال الجميلة الفريدة التي تفوح منه.

- سيكون عندي كثير من الأطفال عندما أكبر.

ابتسمت لها أوليفيا بحنان وقالت: «أنا واثقة أنك ستكونين أماً رائعة يا تالي».

- هل تعلمان لماذا؟

سألتهما تالي ذلك وهي تبدو سعيدة ومرتاحة بشكل كبير. نظر إليها جايسون بسرعة وهو يقود السيارة على طريق هاڤيلا الطويلة، وسألها: «لماذا يا عزيزتي؟».

أجابته تالي: «لأن العائلة رائعة».

www.elromancia.com
رومانسية